كتاب في جريدة
أصدرته منظمة اليونسكو عام 1996
عدد 85 الأربعاء 7 أيلول/سبتمبر 2005

# عروبة القدس
# في عيون الرحالة العرب والأجانب

عرض وتحليل أحمد يوسف القرعى
صور المؤسسة العربية للصورة



المؤسسة الراعية


الشريك الثقافي



بيان صحفي

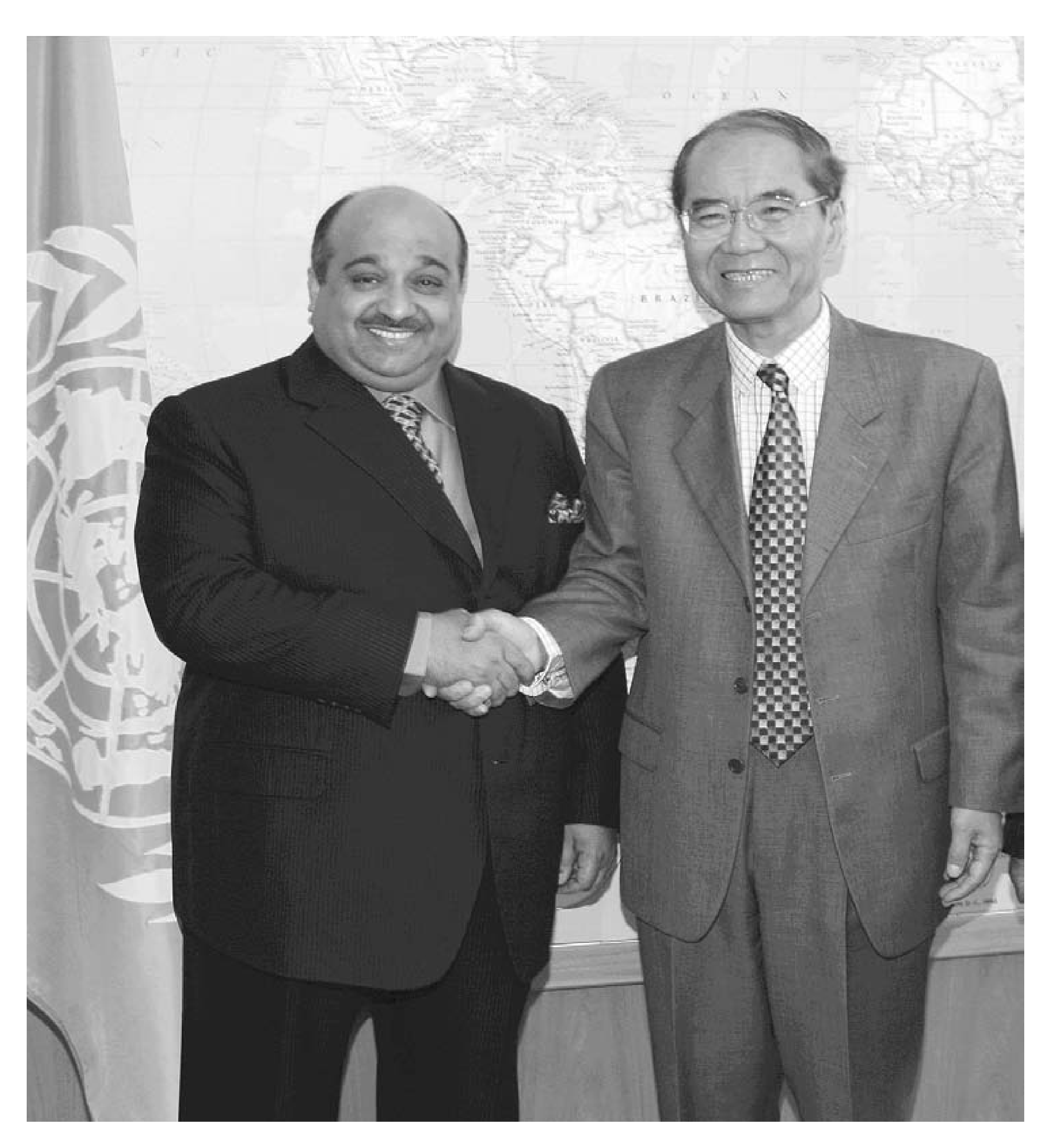
# معالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر مبعوثاً خاصاً لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) للحوار بين الثقافات والتربية وحقوق الإنسان

عيّن مدير عام اليونسكو، كويشيرو ماتسورا، معالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر، مؤسس ورئيس مؤسسة «إم بي أي. فاونـدايشين»، في 18 أذار 2005 في مقر المنظمة بباريس، مبعوثاً خاصاً لليونسكو لحوار الثقافات والتربية من أجل الديمقراطية والتسامح وحقوق الإنسان. وسيقوم الشيخ الجابر، بموجب هذا التعيين، بتمثيل مدير عام اليونسكو في جميع المناسبات العالمية في الميادين ذات العلاقة بالمواضيع التي انتُدِب لها كمبعوث خاص للمنظمة.

جاء هذا التعيين تتويجاً لمسيرة الإنجازات المرموقة التي حققها الشيخ الجابر في دعم الحياة الثقافية العربية من خلال قيامه بالمبادرات الشجاعة والفاعلة في غمرة التحولات الكبرى التي تشهدها منطقتنا العربية. إضافة إلى إسهامات الشيخ الجابر المتنوعة في دعم التعليم العالي في مختلف الدول العربية واهتمامه الخاص بالعراق لمساعدته في إنجاح التجربة الديموقراطية وتجاوز الأزمة الراهنة في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية، الثقافية والتربوية .

وكـان الشـيـخ الجابـر مـؤسس ورئـيس مـؤسسـة «إم بـي أي. فاوندايشين»، قد وقّع عام 2003 بروتوكولاً طموحاً مع كويشيرو مـاتسورا من أجل دعم العديد من المشاريع الثقافية والتربوية وبالأخص «كتاب في جريدة» وتطوير المناهج العربية ورفع كفاءات الهيئات التعليمية وتعريب الإنترنت.

إن الأهـمـيـة المطردة للدور البـارز الذي يلعبه الشيـخ الجابر في التصدي لكل ما يؤثر في الوضع الثقافي والتربوي في العالم العربي عبر نجاحه في إطلاق وقيادة عدد من المشاريع التي أثبتت جدواها وضرورتها، هي التي دفعت بالمنظمة الدولية ممثلة بمديرها العام إلى أن تخطو هذه الخطوة أملاً في المزيد من التعاون بين المنظمة الحكومية الدولية وبين «إم.بي.أي. فاوندايشين» باعتبارها منظمة دولية أهلية تعمل على ترسيخ التعاون والتسامح طريقاً للسلام عبر التربية والعلم والثقافة والاتصال.



على اليمين: السيد كويشيرو ماتسورا، مدير عام منظمة اليونسكو
على اليسار: الشيخ محمد بن عيسى الجابر، رئيس مؤسسة MBI FOUNDATION

## د. أحمد يوسف القرعى
### عروبة القدس في عيون الرحالة العرب والأجانب

كاتب صحفى متخصص فى الشئون العربية والإفريقية، تابع عن كثب، فى كتاباته الصحفية ودراساته وبحوثه العلمية، حركات تحرير الدول العربية والإفريقية، وخص قضية تحرير القدس باهتمام متزايد منذ محاولة إسرائيل إحراق المسجد الأقصى (فى أغسطس ١٩٦٩)، وحذر مبكرا من مخطط إسرائيل لتهويد القدس، وظل يتابع بالتحليل السياسى محاولات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لتكريس عملية تهويد المدينة المقدسة، مؤكدا أهمية الوعى بعروبة القدس وضرورة تعبئة المساندة الشعبية حولها، وعوَّل كثيرا على أهمية دور الاتحادات المهنية العربية التى تمثل ضمير وعقل الأمة جنبا إلى جنب دور الحكومات فى مساندة انتفاضة الأقصى، والإسراع بإعداد وثيقة قانونية دفاعا عن القدس لتعبئة رأي عام عالمي مناصر للقضية الفلسطينية، وتحسبا لاحتمال اللجوء إلى التحكيم الدولى فى حالة الفشل الكامل لعملية التسوية السلمية.

وعبَّر د. أحمد يوسف القرعى عن هذه الأفكار وغيرها فى كتبه ودراساته ومقالاته عن القدس، ومنها كتاب (القدس من بن جوريون إلى نيتانياهو) وكتاب (وثيقة الدفاع عن القدس من يكتبها؟) الذي نال جائزة أفضل كتاب فى معرض القاهرة الدولى للكتاب (يناير ٢٠٠٠)، وكتاب (انتفاضة الأقصى) عام (٢٠٠٢)، وكتاب القدس قضية الساعة (٢٠٠٣).

ومن الكتب الأخرى نذكر كتاب قضايا الشباب والمتغيرات السياسية الدولية (١٩٩١)، وكتاب الحركة النقابية الدولية (١٩٨٦)، وكتاب العولمة وصدام الحضارات ـ قراءة فى فكر مهاتير محمد (٢٠٠٥).

هذا فضلا عن التخصص فى الشئون العربية، وفى القلب منها قضية القدس. أما بشأن التخصص فى الشئون الإفريقية، فقد تتلمذ على فكر كل من د. بطرس بطرس غالى، ود. عبد الملك عودة، وحصل على درجتى الماجستير والدكتوراه فى الشئون الإفريقية، وكان عنوان رسالة الماجستير: سياسة مصر الخارجية تجاه تصفية الاستعمار فى أفريقيا، جامعة القاهرة، ١٩٧٨، وعنوان رسالة الدكتوراه : الحركة النقابية الإفريقية ودور مصر فى نشأتها وتطورها (جامعة القاهرة ٢٠٠٠).

ونال د. أحمد يوسف القرعى جائزة المقال التحليلى من نقابة الصحفيين عام ١٩٨٦، واختير عضوا بعدد من اللجان الثقافية والعلمية، منها لجنة العلوم السياسية بالمجلس الأعلى للثقافة، ومجلس إدارة مركز البحوث الإفريقية، ووحدة الدراسات المصرية ـ الإفريقية بجامعة القاهرة، ومجلس أمناء الجمعية العربية للإدارة، كما تم انتخابه مقررا للجنة الإعلام بمكتبة الإسكندرية (٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥)، وعضوا بشعبة الإعلام بالمجالس القومية المتخصصة، وشارك كعضو فى مناقشة رسائل ماجستير ودكتوراه فى مختلف الجامعات المصرية، وقام بتدريس مادة علم السياسة بكلية الإعلام جامعة ٦ أكتوبر (سنوات ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، ٢٠٠٤)، كما اختير محكّما فى لجان مهرجان القاهرة للإذاعة والتليفزيون (سنوات ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، ٢٠٠٥).

ود. أحمد يوسف القرعى من مواليد بلقاس ـ دقهلية عام ١٩٤٠، وتلقى تعليمه فى مدارسها، ونال بكالوريوس وماجستير ودكتوراه العلوم السياسية من جامعة القاهرة أعوام (١٩٦٢، ١٩٧٨، ٢٠٠٠)، وعمل فى البداية محررا سياسيا بمصلحة الاستعلامات (وزارة الإعلام) لمدة ثلاث سنوات قبل التحاقه بجريدة الأهرام محررا بمجلة السياسة الدولية منذ عددها الأول (يوليو ١٩٦٥)، ثم مديرا لتحريرها ١٩٩٢، إلى جانب عمله عضوا بمجلس تحرير الأهرام (١٩٩٢ ـ ١٩٩٧)، ومشرفا على تحرير صفحات قضايا وآراء منذ عام ١٩٩٤، ونائبا لرئيس تحرير الأهرام منذ عام ١٩٩٧.

الحرم الشريف.
القدس
المصور مجهول
مجموعة رامي النمر / المؤسسة العربية للصورة



### المؤسسة العربية للصورة

ارتبط تاريخ التصوير الفوتوغرافي في العالم العربي بفلسطين لسببين، أولهما أن أولى البعثات الفوتوغرافية التى أرسلت إلى منطقة عربية وصلت إلى فلسطين و ذلك بعيد أعوام قليلة من بداية التصوير في العالم. أما السبب الثاني فهو أن أول محترف للتصوير الفوتوغرافي في أرض عربية حصل في دير سانت جايمس في القدس، بإدارة عيسى غرابيديان، و يقال أنه هو من أقنع المصور غارابيد كريكوريان بامتهان التصوير الفوتوغرافي و فتح استديو للتصوير في القدس. تمثل الصور المنشورة في هذا العدد نماذج من أعمال مصورين محترفين أمثال كريكوريان و رعد، و أخرين هواة أمثال هشام عبد الهادي ممن ساهموا في رسم صورة لمجتمع القدس قبل عام ١٩٤٨.



**صورة الغلاف**
منطاد هندربورغ في سماء القدس
القدس 1936
مجموعة عائلة عبد الهادي / المؤسسة العربية للصورة

**على اليسار**
أولاد عائلتا كريكوريان و مرهج
القدس 1932
المصور: يوهانس كريكوريان
مجموعة عايدة قعوار كريكوريان / المؤسسة العربية للصورة

**كتاب في جريدة**
العدد العشرون
التسلسل العام: عدد رقم 85
(7 أيلول 2005)
ص.ب 1460-11 ـ بيروت، لبنان
تلفون/فاكس 630 248 (1-961+)
تلفون 219 330 (3-961+)
kitabfj@cyberia.net.lb

# عروبة القدس في عيون الرحالة العرب والأجانب
# عرض وتحليل الدكتور أحمد يوسف القرعى

**مقدمة**

يحتل أدب الرحلات مكانة مهمة فى أدبيات التراث العربى والاسلامى بصفة خاصة، فالرحالة العرب والمسلمون منذ العصور الوسطى وحتى العصر الحديث، تركوا لنا ذخائر مهمة من المعارف والمدونات التى تمت الى الجغرافيا والتاريخ بأوثق الصلات، حيث شملت صورا وتقارير حية ووافية عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعمرانية للممالك والبلدان والاصقاع والاقطار والمدن التى زاروها وغير ذلك مما لايزال يعتبر حتى اليوم مراجع أساسية فى المكتبة العربية، ونظرا لقيمتها التاريخية تمت ترجمتها منذ وقت مبكر الى عدد من اللغات الحية.

هكذا تعاظم شأن الرحلات العربية مع الفتح الاسلامى وعلى امتداد رقعة الدولة فى مشارق الأرض ومغاربها، وارتبط المسلمون بعلاقات تجارية مع الصين وبعض البقاع الروسية وبعض مجاهل افريقية، ولم تمنعهم صعوبة المواصلات وسوء الاستعدادات من الرحلات الى أقصى الأرض فأموا الموانئ الصينية يتعلمون فيها استعمال البوصلة ، واخترقوا بحر الظلمات ، وحاولوا الكشف مرتين عن أرض جديدة عبر المحيط الاطلنطى، وورد ذكر المحاولة الأولى فى كتاب الادريسى (نزهة المشتاق)، وورد ذكر الثانية فى (صبح الأعشي) للقلقشندي . وقد ضمت رحلاتهم وثائق عظيمة الشأن فى تاريخ الانسانية، ساهمت فى التعريف بالشرق الأقصى وإفريقيا فضلا عن آفاق دولتهم ، وساعدت الرحالة الغربيين فكانت دليلا لهم فى هذه المجاهل التى كانت أقدام العرب أسبق اليها من أقدام الرحالة الغربيين بعشرة قرون .

هكذا ورثت الدولة الاسلامية من امبراطورية الرومان القديمة معظم أقاليم البحر الأبيض المتوسط، كمصر وشمالى افريقية والأندلس وصقلية والشام والعراق الأعلى، واستخدمت وسائل الحكم ونظم الادارة الرومانية بهذه الأقاليم المفتوحة، لتدعيم سلطانها الجديد هناك ، ومن تلك الوسائل الطرق الرومانية المعبدة، ونظام البريد .

على أن دولة المسلمين قد فاقت امبراطورية الرومان فى فتوحها وأملاكها ، وقد استلزم ذلك، فضلا عما كان هنالك من قبل، كثيرا من طرق البريد ومصانعه وموظفيه ، مما توجد تفاصيله فى الكتب العربية التى ألفت لإرشاد العاملين فى تلك الناحية من الادارة الاسلامية، وهذه الكتب هى أول ما كتب المسلمون فى وصف البلاد التى فتحوها .

على أن اهتمام المسلمين بجغرافية فتوحهم وما يجاورها من البلاد، وتأليفهم وترجمتهم للكتب فى الجغرافية الوصفية، لم ينشأ عن ضرورات الادارة والبريد وضبط الضرائب فحسب، بل كان لتأدية فريضة الحج ، والتجارة فى البر والبحر، والاشتغال بالجغرافيا كعلم لهم فيه بصمات، وحب الرحلة لتدوين المشاهدات، ولهذا أثر ملموس فى عدد المؤلفات التى ازدهر بها العرب والمسلمون .

وكان كل راحل يحدث بما يرى ويصف ما شهد، فكانت أخبار الرحلات والأسفار مثبتة فى كتب التاريخ وتقويم البلدان وفى سير العلماء ونحوها .

ثم نشأت على مر الزمان طائفة من الرحالة جعلوا مقصدهم وصف أسفارهم، وتسجيل تجاربهم فى كتب يجد قارؤها من الأخبار المتصلة، والأوصاف المتتابعة، والتدقيق فى تسجيل الحوادث والمشاهد ما لا يجده فى كتب التاريخ والسير التى تعنى أول ما تعنى بالحوادث مشهودة ومروية، كما تتضمن وصف البلاد وحال أهلها . وعرفت فى العالم الاسلامى الكتب التى سميت الرحلات، وهى فى جملتها وصف انسان لأسفاره وما شهد فيها من أرض وبلاد وأمم ودول وملوك وعلماء وعادات وأخلاق .

وظل العرب والمسلمون هم الحائزون قصب السبق فى ميدان الرحلات والاكتشافات حتى القرن الخامس عشر الميلادي حين انطلقت فى أوروبا حركات الكشوف الحديثة فاكتشف هنري الملاح مناطق مجهولة من الشاطئ الافريقى (١٤٤١) ، ووصل بارتولوميو دياز (١٤٨٦) الى «رأس الرجاء الصالح» فى الطرف الجنوبى من القارة الافريقية، ثم اقتحم فاسكوداجاما بحر الهند (١٤٩٧) بمساعدة الملاح العربى احمد بن ماجد، واكتشف كولومبوس العالم الجديد (١٤٩٢)، واستطاع ماجلان أن يطوف لأول مرة حول الكرة الأرضية (١٥١٩) فيثبت بالدليل العملى أن الأرض كروية .

وكان من نتائج هذه الكشوف أن أذكيت روح المغامرة فى أوروبا كلها ، فاقتحم الغربيون غمار المحيطات ، واكتشفوا استراليا وجزر المحيط الهادئ، ولم يبق موضع على الأرض لم يرحلوا اليه ، أو يرسلوا البعوث لكشف اسراره .

وكان من الطبيعي ان تحظى مدينة القدس بمكانة خاصة فى أجندة كل الرحالة العرب (وأيضا الأجانب، والذين أكدوا - رغم اختلاف وجهات النظر فيما بينهم - مكانة القدس الدينية والتاريخية على مر العصور ودور شعب فلسطين الذي بنى القدس ورعاها وحماها وخدم مقدساتها وتحمل صد موجات الاحتلال والغزو للمدينة المقدسة، ويعد الاحتلال الاسرائيلى الحالي الاحتلال الحادي والأربعين للمدينة بما يعنى أن مصيره سوف يكون مصير موجات الاحتلال السابقة.

ومن أقدم الرحلات المعروفة الى القدس رحلة الشاعر الفارسى ناصر خسرو فى القرن الخامس الهجري (العاشر الميلادي) وبعدها تتابعت رحلات ابن جبير ، ابن بطوطة، والمقدسى ... الخ . وثمة وقائع وثوابت وبراهين وشواهد أكدتها كتابات هؤلاء الرحالة بشأن عروبة القدس، التى بناها الكنعانيون العرب منذ خمسة آلاف عام .

وعروبة القدس تترك بصماتها على الأرض والمكان والانسان وعلى آثار التاريخ والحضارة على مر العصور والأجيال .. أكد هذا المؤرخون والرحالة العرب والأجانب وسجلوا هذا فى مخطوطاتهم، ابتداء من أسماء المدينة العربية الأصل الى أغلبية السكان العرب على مر الزمن وحتى الآن .

ويسجل هذا الكتاب شهادات عدد من هؤلاء الرحالة العرب والاجانب بشأن توثيق عروبة القدس ومن واقع المشاهدة والرؤية لمعالم المدينة المقدسة .. الأرض والانسان، الأثر والعين ، التاريخ والجغرافيا .

ويتضمن الكتاب أعمال عدد من الرحالة العرب والأجانب ومن الرحالة العرب ناصر خسرو ، الادريسى ، ابن جبير ، الهروى ، أسامة بن منقذ ، إبن بطوطة، ورحلات بعض العلويين الحضارم. ومن الرحالة الاجانب الألمانى فيلكس فابرى والفرنسي شاتوبريان الى جانب رحلة المبشرين الامريكيين الى القدس .

وشهادات هؤلاء الرحالة العرب والأجانب تسهم فى الرد على الادعاءات الاسر ائيلية التى يروج لها رؤساء اسر ائيل ابتداء من ديفيد بن جوريون الى ارييل شارون، ويدعون وجود التاريخ المتصل لليهود فى فلسطين وارتباط القدس باليهود دون غيرهم وعن كونها عاصمة لدولتهم بناها الملك داوود. وتقفز هذه المقولة فوق تاريخ القدس الممتد على مدى قرون قبل تأسيس مملكتى داود وسليمان (عليهما السلام) كما تقفز فوق تاريخ القدس العربية الممتد على مدى قرون بعد سقوط تلك المملكة، كما تحاول هذه المقولة تجاهل حقيقة أن النبى داوود وأسرته هم من العبرانيين الذين ينتمون الى الجنس العربى وأنهم اندمجوا فى شعب فلسطين فأصبحوا منه وإليه ينتسبون، وأن أنبياء بنى إسرائيل هم انبياء الله يؤمن بهم جميع المؤمنين بالله يهودا كانوا أو نصارى أو مسلمين .

د . أحمد يوسف القرعى

**(١) رحلة ناصر خسرو إلى القدس**

كتاب سفر نامة بالفارسية (زاد المسافر بالعربية) من أهم مصادر تاريخ القدس، خاصة فى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهو القرن الذي وقعت فيه زيارة ناصر خسرو صاحب كتاب سفر نامة إلى بلاد العالم الإسلامي: الشام ومصر والحجاز، وهو القرن الذي شهد فى نهايته أيضا العدوان الصليبى على العالم الإسلامى مستهدفا انتزاع المدينة المقدسة من يد المسلمين، ولذلك تأتى أهمية زيارة ناصر خسرو لهذه المدينة المقدسة وتسجيله لوقائع هذه الزيارة فى تلك الفترة الزمنية من تاريخ القدس لتؤكد عروبتها وقداستها وسماحة المسلمين مع أصحاب الملل المختلفة ممن أراد الحج إليها أو الاستيطان فيها.

وناصر خسرو علوي، مؤلف هذا الكتاب، كان وزيرا فى خراسان، وكان صاحب منصب حكومى كبير أيام الدولتين الغزنوية والسلجوقية فى خراسان، اعتزل الوزارة واعتزم أداة فريضة الحج فى ربيع الآخر ٤٣٧هـ/١٠٤٥ م، غادر مرو، فى ذلك العام، مستصحبا أخاه أبا سعيد وغلاما هنديا متجها إلى بيت المقدس. وبعد أن زار بيت المقدس قصد الأراضى الحجازية لأداء فريضة الحج، وبعد أدائه لفريضة الحج عاد ثانية إلى القدس وعزم على زيارة مصر على أن يغادرها إلى مكة مرة أخرى، وقد دامت رحلته سبع سنوات فى هذه البلاد سطر أهم أحداثها فى كتابه سفر نامة. وكتب ناصر خسرو رحلته يوما فيوما ووصف الأماكن التى زارها بدقة متناهية مثلما فعل عند وصفه لمسجد بيت المقدس ولبعض المقالات التى كانت تقام فى بعض البلدان الإسلامية التى قام بزيارتها مثل الاحتفال بافتتاح الخليج فى مصر، فالصفات التى يصفها والأسماء التى يذكرها ليست مما يعلق بالذاكرة سنوات عدة، وتأتى بمثل هذه الدقة التى وردت فى كتاب رحلته، وقد اتفق الكتاب على هذا وإن اختلفوا فى تحديد التاريخ الذي كتب فيه سفر نامة، فمنهم من يرجح كتابته سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦٠م، ومنهم من يؤكد أنها سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، ومنهم من يؤكد أن ناصر خسرو جمع مذكراته ثم كتب سفر نامة بعد عودته إلى خراسان مباشرة حين عاد إلى وطنه بعد غيبة سبع سنوات (٤٤٤هـ/ ١٥٠٢م). وكان ناصر خسرو أمينا فى كتاباته، إذا رأى شيئا رأي العين نص على ذلك نصا، وإذا سمع عن شئ رواه وجعل العهدة على راويه.

وفى ضوء ما نشر من كتب ناصر خسرو نجد أن رحلته التى سجلها فى سفر نامة تنقسم إلى مراحل ثلاث:

الأولى: تبدأ من قيامه من مرو فى ربيع الآخر ٤٣٧هـ (أكتوبر ١٠٤٥) وتنتهى ببلوغه القاهرة فى ٧ صفر ٤٣٩ هـ (٤ أغسطس ١٠٤٧م).

والمرحلة الثانية: إقامته فى مصر من ٧ صفر ٤٣٩ هـ (٤ أغسطس) إلى أواخر جمادى الثانية ٤٤٢ هـ (أواخر أكتوبر ١٠٥٠م).

والمرحلة الثالثة: عودته إلى بلخ عن طريق الحجاز والبصرة وتبدأ منذ قيامه من مصر وتنتهى فى ٢٦ جمادى الأخرة ٤٤٤ هـ (٢٦ أكتوبر ١٠٥٢م).

وقد جاءت زيارة ناصر خسرو لبيت المقدس فى المرحلة الأولى من رحلته قادما إليها من طرابلس على الساحل السوري، التى يقول إنها تبعد عن طرابلس ستة وخمسون فرسخا (١٦٨ ميلا)، حيث أن الفرسخ يساوي ثلاثة أميال، وتبعد عن بلخ ستة وسبعون وثمانمائة فرسخ (٢٦٢٨ ميلا).

وقد ذكر ناصر خسرو أنه بلغ بيت المقدس، قادما من طرابلس، وفى الخامس من رمضان سنة ٤٣٨ هـ (١٦ مارس ١٠٤٧م).

ثم يشير ناصر خسرو إلى عادة إسلامية تظهر قدسية هذه المدينة، وهى ذهاب من لم يستطع من المسلمين الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج من أهل الشام، الذهاب إلى القدس وذبح الأضحية هناك، وأنه فى بعض السنين يحضر إلى هذه المدينة فى أوائل ذي الحجة للقيام لهذه السُنة وهى سُنة الأضحية أكثر من ٢٠ ألف شخص مصطحبين معهم أبناءهم.

كذلك يتحدث ناصر خسرو عن مجئ كثير من النصارى واليهود لزيارة القدس وزيارة كنيسة القيامة ومعبد اليهود مما يؤكد تسامح المسلمين مع أهل الذمة المسيحيين واليهود والسماح لهم بأداء مراسمهم الدينية فى القدس.

وقد وصف هذه الكنيسة التى سماها كنيسة بيعة القمامة فى كتاب وأعطاها وصفا جميلا، ثم يتحدث ناصر خسرو بتفصيل زائد عن وصفه لبيت المقدس ويسرد بالتفصيل وصف المسجد الكبير الذي أطلق عليه مسجد مهد عيسى، ثم يتحدث عن المسجد الأقصى، ثم ينتقل إلى وصف الدكة التى بوسط ساحة المسجد، والصخرة التى كانت قبلة الإسلام، ثم يصف قبة الصخرة بالتفصيل، وكذا القباب الأخرى، وذكر ناصر خسرو أنه بعد فراغه من زيارة بيت المقدس عزم على زيارة مسجد إبراهيم الخليل فى يوم الأربعاء غرة ذى القعدة سنة ٤٣٨هـ (١٠ أبريل ١٠٤٧م).

وبعد زيارته للخليل عاد ناصر خسرو إلى بيت المقدس، ومنها قصد الحجاز فغادرها فى منتصف ذى القعدة سنة ٤٣٧هـ / أول مايو ١٠٤٧ م. وبعد أدائه لفريضة الحج عاد إلى بيت المقدس ثانية عن طريق الشام فبلغها فى الخامس من المحرم سنة ٣٣٩هـ (٧ يوليو ١٠٣٧م)، ثم غادر بيت المقدس إلى مصر بطريق البحر على أن يخرج منها بعد ذلك إلى مكة.

وبعد استعراضه لكتاب سفر نامة، ولبيان أهميته كمصدر من مصادر القدس الهامة يسجل الدكتور عطية أحمد القوصى النتائج التالية فى دراسته المنشورة فى كتاب بحوث مؤتمر مصادر تاريخ القدس بكلية الأداب جامعة القاهرة ١٩٩٨

أولا: كتاب سفر نامة يعد من أهم مصادر القدس فى فترة الحكم الإسلامى للمدينة فى العصر الوسيط، وبه وصف مستفيض للمدينة ولأهم معالمها وخاصة معالمها الدينية المقدسة التى تؤكد عروبتها وقداستها فى الإسلام. والكتاب من تأليف شاهد عيان رحالة مسلم فارسى الأصل، كتبه أثناء رحلة قام بها لبلاد العالم الإسلامى فى النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، لمدة سبع سنوات، خلال حكم خلفاء الفاطميين لمصر الشام، فى عهد الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ / ١٠٣٥ ـ ١٠٩٤م). وفى عهد هذا الخليفة كانت مصر تتسيد الحكم على بلاد الشام والحجاز، وبلغت أقصى نفوذها فى صراعها مع الخلافة العباسية فى أمر فرض السيادة الروحية الدينية على العالم الإسلامى بالخطبة للخليفة الفاطمى لمدة عام من فوق منابر بغداد وغيرها من المنابر السنية التابعة للخليفة العباسى.

ثانيا: فى هذا القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) برزت أهمية القدس كمركز دينى هام للأديان السماوية الثلاثة، وبسبب ذلك تعرضت بلاد الشام عموما والقدس خصوصا للعدوان الأوروبى الذي اتخذ له قناعا دينيا. وشن الأوروبيون على بلاد الشرق حروبهم التى عرفت بالحروب الصليبية، بعد اتهامهم المسلمين بإساءة معاملة الحجاج المسيحيين المتوجهين لزيارة الأماكن المسيحية المقدسة بالقدس. وهو ادعاء نفاه ناصر خسرو فى كتابه، بل أكد على مدى التسامح الذي كان يعامل به المسيحيون وغيرهم من أرباب الديانات الأخرى عن زيارتهم للقدس عند قدومهم من بلاد المشرق أو بلاد الروم لزيارة النصارى لكنيسة القيامة أو لبيت لحم وزيارة اليهود لمعبدهم (الكنيش) هناك.

ثالثا: لم يشر ناصر خسرو فى كتابه إلى أي تجمع يهودي بالقدس أو أي ملكية أراضى لليهود هناك، وعدم وجود أي مستوطنات أو جيتو يهودي بالقدس أثناء زيارته لها، لو وجد مثل ذلك لما تردد عن ذكره ولكنه اقتصر عند حديثه عن سكان المدينة بالقول بأن عددهم يبلغ حوالى عشرون ألف رجل غير النساء والأطفال المسلمين، ولم يشر إلى أهل ملل أخرى غير ما أشار إليهم من الرهبان المجاورين للأماكن المقدسة والحجاج المسيحيين واليهود الذين كان يقتصر وجودهم المؤقت بالمدينة المقدسة على أداء فريضة الحج ثم العودة إلى بلادهم، يقول ناصر خسرو فى ذلك ما نصه: «كذلك يأتى لزيارة بيت المقدس، من ديار الروم، كثير من النصارى واليهود وذلك لزيارة الكنيسة والكنيش هناك».

ويبدو أن عدد اليهود الذين كانوا يقيمون فى القدس، وقت زيارة ناصر خسرو لها كان قليلا، ولذلك لم يسترع نظر ناصر خسرو ولم يشر إلى نشاط اليهود وممتلكاتهم بهذه المدينة المقدسة، مع أنه من الوارد أنه كانت بالقدس أنذاك جالية يهودية منذ أيام الفتح الإسلامى لهذه المدينة، وتسلم الخليفة عمر بن الخطاب لها سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد سمح لليهود بالعودة إلى القدس بعد طردهم فيها وتحريمهم الإقامة فيها منذ عام ٧٠ م على يد الإمبراطور الرومانى تيتوس الذي هدم هيكل اليهود بالقدس وقام بقتل وطرد من بقى منهم بالقدس خصوصا وفلسطين عموما، وكان هذا الطرد لليهود من القدس قد تكرر سنة ١٣٥ م حين فشلت الثورة التى قاموا بها ضد الرومان فى عهد الإمبراطور هادريان فى الفترة ما بين سنوات ١٣٢ ـ ١٣٥م، وهى الثورة التى عرفت باسم ثورة باركوكبا (ابن النجوم)، وكانت أخر ثوراتهم ضد الرومان بفلسطين، وقد قام القائد الرومانى يوليوس سيفروس، قائد هادريان أنذاك، بإخماد هذه الثورة وهدم معبد اليهود وأقام مكانه معبدا وتمثالا للإله جيوبيتر كابيتولينوس، كما قام بتغيير اسم مدينة القدس إلى إيليا كابيتولينا، وأصدر هادريان قرارا يحرم على اليهود دخول مدينة القدس والعيش فيها وجعل الموت عقوبة من يقدم منهم على ذلك.

وظلت القدس وسائر مدن فلسطين محرمة على اليهود حتى الفتح الإسلامى للشام فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب.

وعند تقدم الخليفة عمر لاستيلاء هذه المدينة المقدسة من زعماء المسيحيين فيها، اشترطوا عليه شروطا يسلموه المدينة بعدها منها، شرط منع اليهود من دخولها والاستيطان فيها، لكن الخليفة المسلم قبل كل شروطهم ما عدا هذا الشرط معتذرا بأن القرآن قد حدد لأهل الكتاب ما لهم وما عليهم، وليس فيه شئ يسمح بذلك، وبذلك أصبح لليهود الحق فى العودة والعيش فى المدينة طوال عهد الراشدين وأوائل عهد الأمويين، لكن أعدادهم ازدادت إليها بشكل معقول فى عهد خلافة عبد الملك بن مروان، وحين أصبحت بلاد الشام فى يد الفاطميين بما فيها القدس، ازداد بالمدينة تواجد اليهود لتسامح الفاطميين عموما مع أهل الذمة مسيحيين ويهوداً.

وعلى هذا نرى أنه كانت هناك جالية يهودية فى القدس، قليل شأنها وخطرها، عند زيارة ناصر خسرو لهذه المدينة المقدسة، الأمر الذي لم يلفت نظره ولم يستحق منه الكتابة عنه.

رابعاً: تحدث ناصر خسرو عن قداسة بيت المقدس لاحتوائها الأماكن المقدسة من المسجد الأقصى وقبة الصخرة ومسجد الجمعة، وأشار إلى فخامة هذه الأبنية والأموال الطائلة التى صرفت على تشييدها أيام الأمويين.

وليس من الصعب علينا أن نتفهم الظروف التاريخية التى صاحبت تشييد هذه الأبنية الدينية الفخمة، فقد اعتاد جيل المسلمين الأوائل على بساطة مسجد النبى صلى الله عليه وسلم الذي بناه فى المدينة، وكان قانعا بذلك البنيان الخشبى البسيط للحرم الشريف بالقدس الذي كان مكانا للعبادة فى عهد حكم الخليفة الأموي معاوية ابن أبى سفيان، والذي وصفه الرحالة الفرنسى أركولف (حوالى سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م). لكن فخامة وأبهة كنائس القدس واللد ودمشق الزائد عن الحد تحت الحكم البيزنطى، كذلك كنائس بعض مدن الشام الفخمة لم تخفق فى أن تترك تأثيرها العميق على جيل المسلمين الثانى الذي نما وترعرع فى البلاد الجديدة المفتوحة وتشرب بالشعور الجمالى والذوق الزائد الصفاء، ويخبرنا المقدسى فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» عند حديثه عن القدس كيف أن عمه قد تلمس العذر للخليفتين الأمويين عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك فى صرفهما كثيرا من أموال المسلمين على البناء، فلقد قصدا بذلك منع الفتنة التى قد تثيرها أماكن عبادة الديانات الأخرى الكثيرة الجميلة.

وبرغم أن الشكل المستدير الذي أخذته قبة الصخرة غريب عن العمارة الإسلامية فقد قدر له أن يضارع كثيرا من القباب المسيحية، وقد أظهرت النقوش التى كانت تزين داخلها بوضوح روح مناظرة المسيحية، بينما هى تؤكد فى ذات الوقت حكم القرآن من أن المسيح نبى حق، وقد تكررت عبارة «لا شريك له» خمس مرات فى هذه النقوش، كذلك سطرت الآيات ٣٤ ـ ٣٧ من سورة مريم داخلها «ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون. ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون. وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم». وهى الآيات التى تنكر بشدة بنوة عيسى إلى الله. كذلك كتب بعناية فائقة وبخط كوفى جميل عبارة: «اللهم صل على رسولك وعبدك عيسى بن مريم»، كل ذلك يظهر أن مناظرة المسيحية والرغبة فى إظهار روح رسالة الإسلام كانتا واردتين أثناء تشييد قبة الصخرة الشهيرة، وهكذا أظهر ناصر خسرو فى كتابه أن تشييد قبة الصخرة وعمارة المسجد الأقصى قد جاءا تلبية لدواعى الاحتياجات الحضارية لجيل المسلمين الثانى، وأن المراد به كما هو ثابت فى الكتابات المحفورة عليهما، أن تكون أداة لمناظرة المسيحية، كما أن تكون فى نفس الوقت أيضا دعوة لاعتناق الإسلام.

خامساً: عن قداسة بيت المقدس، أورد ناصر خسرو الاعتقاد الشائع فى الأديان الكتابية الثلاثة عن وقوع البعث والقيامة والحشر بالقدس فى سهل يعرف بسهل «الساهرة» ومجئ خلق كثيرين من أطراف العالم للإقامة به انتظارا لهذا اليوم. وهذا يؤكد ما أورده «مظهر بن طاهر المقدسي» فى كتابه «البدء والتاريخ»، الذي ألفه سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٦م، بما نصه: «يقول المسلمون أن الموتى سوف يبعثون يوم القيامة من بيت المقدس وأن هنالك حديثا فى هذا الخصوص منسوباً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن كثيرا من اليهود يشاركون فى هذا الاعتقاد. ولكنى سمعت من يقول بأن هذا الحديث حديث موضوع وضعه أهل الشام، وأن الله سوف يبعث الموتى أنى شاءت إرادته تعالى». وبنفس الطريقة يصور ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية القصص المتعلق بقيام البعث فى بيت المقدس على أنه صيغ موضوعة لجذب الزائرين إلى المدينة المقدسة. وقد خصص العالم الشهير ابن تيمية (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) رسالة خاصة لدحض مثل تلك الادعاءات.

وتحدث ناصر خسرو عن وجود قرافة عظيمة ومقابر كثيرة من الصالحين بالقدس يصلى الناس بها ويدعون ويستجاب هنالك لدعائهم وتقضى حوائجهم.

سادساً: عن قداسة بيت المقدس أيضا، أشار ناصر خسرو إلى أن المسلمين من أهل الشام وغيرهم الذين لم يستطيعون أداء فريضة الحج فى مكة والوقوف بعرفات وذبح أضحياتهم هناك، كانوا يذهبون فى شهر ذي الحجة إلى القدس، ويقومون بالوقوف هناك. ويقول ناصر خسرو فى ذلك ما نصه: «ويذهب إلى القدس فى موسم الحج من لا يستطيع الذهاب إلى مكة من أهل هذه الولايات، فيتوجه إلى الموقف ويضحى العيد كما هى العادة، ويحضر هناك لتأدية السُنة، فى بعض السنين، أكثر من عشرين ألف شخص، فى أوائل ذي الحجة، ومعهم أبناؤهم».

ولقد دفع هذا القول عددا من المستشرقين وفى مقدمتهم «جولدز يهر» على القول بأن الهدف الرئيسى من وراء تشييد عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة (٦٦هـ)هو تحويل الحج من مكة إلى بيت المقدس أيام حربه عبد الله بن الزبير، وأن تفسير طبقة البناء الدائري لمبنى قبة الصخرة الفخم الذي بناه عبد الملك قصد منه تسهيل الطواف حولها. ولقد نفى كبار مؤرخى القرن الثالث الهجري الذين تحدثوا عن الحرب بين الأمويين وابن الزبير بالتفصيل، هذا الزعم، كذلك انتفى فيما كتبه جميع المؤرخين المسلمين ومن بينهم المقدسى، وهو مواطن من بيت المقدس (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) بل على العكس من ذلك فإن الطبري، عند ذكره لأحداث سنة ٦٨ هـ ، أورد اشتراك أربعة جيوش متخاصمة فى حج ذلك العام فى وقت واحد منها جيش عبد الملك بن مروان، ولم يتمسك بمثل هذا الادعاء سوى مصدرين قديمين هما: كتاب تاريخ اليعقوبى للمؤرخ الشيعى اليعقوبى، وكتاب التاريخ المجموع على التحقيق، والتصديق لسعيد بن البطريق، المؤرخ المسيحى، والمعروف عند الفرنج باسم أوتيخا، ولقد ثبت عند دراسة ونقد هذين المصدرين التاريخيين أن صاحبيهما كانا معاديين للأمويين وأن كتاباتهما قد عكست أهدافا معينة خاصة لهما.

ولقد خلط هؤلاء الكتاب فيما بين الوقوف فى عرفة فى موسم الحج بمكة ووقوف المسلمين وتجمعاتهم فى العواصم الإسلامية الكبرى، الذين لم يتسنى لهم أداء فريضة الحج، فى هذا اليوم احتفالا به ومشاركة للحجيج الواقفين بعرفة، وقد بدأت عادة التجمع والوقوف يوم عرفة فى الأمصار الإسلامية، مع حركة الفتوح الإسلامية، وبعد أن لم يتمكن المحاربون المسلمون بالطبع الذين خرجوا للفتح والجهاد من أداء الفريضة فى مكة، وكان كثير منهم قد اعتاد على أدائها فى كل عام فى صدر الإسلام. ومن أجل ذلك احتفلوا بهذا الوقوف فى العواصم الإسلامية الكبرى، وأصبح ذلك الاحتفال تقليدا يتم يوم عرفة فى تلك العواصم.

وقد ورد أن عبد الله بن العباس هو الذي أدخل هذا التقليد حين شغل منصب أمير البصرة، كذلك حذى حذوه عبدالعزيز بن مروان فى الفسطاط، أثناء إمارته على مصر، فى عهد خلافة أخيه عبد الملك بن مروان.

وقد ألقى ناصر خسرو ضوءا على هذه العادة فى بيت المقدس لمن لا يستطيعون أداء فريضة الحج بمكة.

وبذلك نبطل ادعاء اليعقوبى وابن البطريق بصدد الهدف من بناء قبة الصخرة ومسألة الوقوف بعرفة، وإنا نستند فى رفض ذلك على أنه من المؤكد أنه لم يكن لعبد الملك بن مروان أن يخاطر بمركزه، وهو خليفة المسلمين، بمحاولة تغيير فريضة مثل فريضة الحج عن المكان الذي أشار القرآن والرسول على أدائها فيها، وبذلك يدخل فى عداد الكافرين. كذلك فإن رجاء بن حيوه، الذي أشرف على بناء قبة الصخرة، كان صديقاً للخليفة الراشد الخامس الورع عمر بن عبد العزيز، المشهور بتدينه وورعه، والذي لم يكن يوافق على الإطلاق على كسر تعاليم ركن أساسى من أركان الإسلام الخمسة. ووفقا لما هو معروف لنا جميعاً، فإن عبد الملك نفسه كان مسلماً صحيح الإسلام شديد الحرص على أمور دينه، كل هذه الاعتبارات مجتمعة تجعلنا نسقط من حسابنا أن الخليفة الأموي قصد أن يغير محج المسلمين إلى محج آخر.

سابعاً: تحدث ناصر خسرو عن قداسة بيت المقدس عند المسلمين عن المتصوفين الذين جاوروا فى بيت المقدس، وعن المتصوفين الأوائل الذين حرصوا على زيارة بيت المقدس من أمثال: سفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، وأبى يزيد البسطامى، وبشر الحافى، وصريع السقطى، وغيرهم، كذلك عن تلامذة المتصوفة الأوائل الذين حذوا حذو أساتذتهم، ويأتى فى مقدمتهم الإمام الغزالى، الذي تحدث عن عزلته عند قبة الصخرة، ببيت المقدس سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥ م فى كتابه «المنقذ»، وعُدت هذه العزلة حدثا تاريخيا هاما. كذلك جاور الكازرونى (ت ٤٢٦هـ /١٠٣٤م) هناك وكان يعتقد أن العيش الحلال، الخالى من أي شبهة دينية، لا يوجد إلا هناك. كذلك جاور هناك سعيد بن أبى الخير وقص علينا أنه التقى بالخضر النبى فى بيت المقدس. كذلك حج إلى هناك أبو النجيب السهروردى سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٣م، كذلك فعل الشعرانى أعظم المتصوفين المتأخرين (ت ٩٧٣هـ / ١٥٦٥ م).

ثامناً: أصبح الكلام عن قدسية أرض الشام عموماً وبيت المقدس خصوصاً، وعن مزايا هذه البلاد أو العيش فيها فى المصادر الإسلامية، مثل كتاب سفر نامة، كلاماً مجيباً وشائعاً بين المسلمين، وذلك حين هدد أعداء الإسلام هذه المنطقة، مثلما فعل البيزنطيون فى صدر الإسلام والصليبيون فى القرون المتأخرة.

وفيما يلى نص ما جاء فى كتاب سفر نامة عن رحلة ناصر خسرو إلى القدس:

## النص الكامل لوقائع رحلة ناصر خسرو إلى القدس

فى الخامس من رمضان سنة ٤٣٨ (١٦ مارس ١٠٤٧) بلغنا بيت المقدس. وكان قد مضى على خروجنا من بلدنا سنة شمسية، وطوال رحلتنا لم نقر فى مكان قط ولا وجدنا راحة كاملة، وأهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدس «القدس» ويذهب إلى القدس فى موسم الحج من لا يستطيع الذهاب إلى مكة من أهل هذه الولايات، فيتوجه إلى الموقف ويضحى ضحية العيد كما هى العادة، ويحضر هناك لتأدية السنة، فى بعض السنين، أكثر من عشرين ألف شخص فى أوائل ذى الحجة، ومعهم أبناؤهم.

كذلك يأتى لزيارة بيت المقدس، من ديار الروم، كثير من النصارى واليهود، وذلك لزيارة الكنيسة والكنيش هناك. «وهناك كنيسة عظيمة سيأتى وصفها فى مكانه»، وسواد ورساتيق بيت المقدس جبلية كلها، والزراعة وأشجار الزيتون والتين وغيرها تنبت كلها بغير ماء، والخيرات بها كثيرة ورخيصة، وفيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف منّ زيت الزيتون، يحفظونها فى الآبار والأحواض، ويصدرونها إلى أطراف العالم ويقال أنه لا يحدث قحط فى بلاد الشام.

وسمعت من ثقات أن وليا رأى النبى عليه السلام فى المنام فقال له «ساعدنا فى معاشنا يا رسول الله»، فأجابه النبى عليه السلام: «على خبز الشام وزيته».

والآن أصف مدينة بيت المقدس.

وصف بيت المقدس:

هى مدينة مشيدة على قمة الجبل، ليس بها ماء غير الأمطار ورساتيقها ذات عيون، وأما المدينة فليس بها عين فإنها على رأس صخر، وهى مدينة كبيرة كان بها، فى ذلك الوقت، عشرون ألف رجل، وبها أسواق جميلة وأبنية عالية، وكل أرضها مبلطة بالحجارة، وقد سووا الجهات الجبلية والمرتفعات، وجعلوها مسطحة، بحيث تغسل الأرض كلها وتنظف حين تنزل الأمطار.

وفى المدينة صناع كثيرون، لكل جماعة منهم سوق خاصة، والجامع شرقى المدينة وسوره هو سورها الشرقى، وبعد الجامع سهل كبير مستو يسمى «الساهرة» يقال إنه سيكون ساحة القيامة والحشر، ولهذا يحضر إليه خلق كثيرون من أطراف العالم ويقيمون به حتى يموتوا فإذا جاء وعد الله كانوا بأرض الميعاد «اللهم عفوك ورحمتك بعبيدك ذلك اليوم يارب العالمين».

وعلى حافة هذا السهل قرافة عظيمة، ومقابر كثير من الصالحين، يصلى بها الناس ويرفعون بالدعاء أيديهم فيقضى الله حاجاتهم، اللهم تقبل حاجاتنا واغفر ذنوبنا وسيئاتنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، وبين الجامع وسهل الساهرة واد عظيم الانخفاض كأنه خندق وبه أبنية كثيرة على نسق أبنية الأقدمين.

ورأيت قبة من الحجر المنحوت مقامة على بيت لم أر أعجب منها، حتى أن الناظر إليها ليسأل نفسه كيف رفعت فى مكانها؟ ويقول العامة أنها بيت فرعون، واسم هذا الوادي «وادي جهنم» وقد سألت عمن أطلق هذا اللقب عليه فقيل أن عمر رضى الله عنه أنزل جيشه أيام خلافته فى سهل الساهرة هذا، فلما رأى الوادي قال هذا وادي جهنم. ويقول العوام أن من يذهب إلى نهايته يسمع صياح أهل جهنم، فإن الصدى يرتفع من هناك، وقد ذهبت فلم أسمع شيئا، وحين يسير السائر من المدينة، جنوبا، مسافة نصف فرسخ، وينزل المنحدر، يجد عين ماء تنبع من الصخر، تسمى عين سلوان.

وقد أقيمت عندها عمارات كثيرة، ويمر ماء هذه العين بقرية شيدوا فيها عمارات كثيرة وغرسوا بها البساتين، ويقال إن من يستحم من ماء هذه العين يشفى مما ألم به من الأوصاب والأمراض المزمنة، وقد وقفوا عليها مالا كثيرا. وفى بيت المقدس مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصرف لمرضاه العديدين العلاج والدواء وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف.

وهذا المستشفى ومسجد الجمعة يقعان على حافة وادي جهنم، وحين ينظر السائر من خارج المسجد يرى الحائط المطل على هذا الوادي يرتفع مائة ذراع من الحجر الكبير الذي لا يفصله عن بعضه ملاط أو جص، والحوائط، داخل المسجد، ذات ارتفاع مستو.

وقد بنى المسجد فى هذا المكان لوجود «الصخرة» به وهى الصخرة التى أمر الله عز وجل موسى عليه السلام أن يتخذها قبلة، فلما قضى هذا الأمر، واتخذها موسى قبلة له، لم يعمر كثيرا، بل عجلت به المنية، حتى إذا كانت أيام سليمان عليه السلام، وكانت الصخرة قبلة، بنى مسجداً حولها بحيث أصبحت فى وسطه وظلت الصخرة قبلة حتى

سيارة هشام عبد الهادي ال MG، و في الخلفية الكنيسة الجسمانية في القدس.
القدس 1951
مصور مجهول
مجموعة عائلة عبد الهادي / المؤسسة العربية للصورة



عهد نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام، فكان المصلون يولون وجوههم شطرها، إلى أن أمرهم الله تعالى أن يولوا وجوههم شطر الكعبة وسيأتى وصف ذلك فى مكانه.

وقد أردت أن أقيس هذا المسجد، ولكنى آثرت أن أتقن معرفة هيأته ووضعه أولا ثم أقيسه، فلبثت فيه زمنا أمعن النظر، فرأيت عند الجانب الشمالى، بجوار قبة يعقوب عليه السلام طاقا مكتوبا على حجر منه أن طول هذا المسجد أربع وخمسون وسبعمائة ذراع وعرضه خمس وخمسون وأربعمائة ذراع، وذلك «بذراع الملك»، المسمى فى خراسان «كزشايكان» وهو أقل قليلا من ذراع ونصف الذراع.

وأرض المسجد مغطاة بحجارة موثوقة إلى بعضها بالرصاص، والمسجد شرقى المدينة والسوق، فإذا دخل السائر من السوق فإنه يتجه شرقا، فيرى رواقا عظيما جميلا ارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون، وللرواق جناحان وواجهتاهما وإيوانه منقوشة كلها بالفسيفساء المثبتة بالجص على الصورة التى يريدونها وهى من الدقة بحيث تبهر النظر.

ويرى على هذا الرواق كتابة منقوشة بالمينا، وقد كتب هناك لقب سلطان مصر، فحين تقع الشمس على هذه النقوش يكون لها من الشعاع ما يحير الألباب، وفوق الرواق قبة كبيرة من الحجر المصقول، وله بابان مزخرفان وواجهتاهما من النحاس الدمشقى الذي يلمع حتى لتظن أنهما طليا بالذهب، وقد طعما بالذهب وحليا بالنقوش الكثيرة وطول كل منهما خمس عشرة ذراعا وعرضه ثمان ويسميان باب داود عليه السلام، وحين يجتاز السائر هذا الباب، يجد على اليمين رواقين كبيرين فى كل منهما تسعة وعشرون عمودا من الرخام، تيجانها وقواعدها مزينة بالرخام الملون ووصلاتها مثبتة بالرصاص.

وعلى تيجان الأعمدة طيقان حجرية وهى مقامة فوق بعضها بغير ملاط وجص ولا يزيد عدد حجارة الطاق منها على أربع أو خمس قطع، وهذان الرواقان ممتدان إلى المقصورة، ثم يجد على اليسار وهو ناحية الشمال، رواقا طويلا به أربعة وستون طاقا كلها على تيجان أعمدة من رخام، وعلى هذا الحائط نفسه باب آخر اسمه «باب السقر»؟.

وطول المسجد من الشمال إلى الجنوب. وهو ساحة مربعة إذا اقتطعت المقصورة منه، والقبلة فى الجنوب، وعلى الجانب الشمالى بابان آخران متجاوران عرض كل منهما سبع أذرع وارتفاعه اثنتا عشرة ذراعا، ويسميان «باب الأسباط» فإذا اجتازه السائر، وذهب مع عرض المسجد الذي هو جهة المشرق، يجد رواقا عظيما كبيرا به ثلاثة أبواب متجاورة، فى حجم «باب الأسباط»، وكلها مزينة بزخارف من الحديد والنحاس، قلَّ ما هو أجمل منها تسمى «باب الأبواب» لأن للمواضع الأخرى بابين وله ثلاثة.

وبين هذين الرواقين الواقعين على الجانب الشمالى، فى الرواق ذى الطيقان المحملة على أعمدة الرخام، قبة رفعت على دعائم عالية، وزينت بالقناديل والمسارج، تسمى قبة يعقوب عليه السلام، لأنه كان يصلى هناك «وفى عرض المسجد رواق فى حائطه باب خارجه صومعتان للصوفية، وهناك مصليات ومحاريب جميلة يقيم بها جماعة منهم ويصلون ولا يذهبون للجامع إلا يوم الجمعة لأنهم لا يسمعون التكبير حيث يقيمون».

وعند الركن الشمالى للمسجد رواق جميل، وقبة جميلة لطيفة مكتوب عليها: «هذا محراب زكريا النبى عليه السلام». ويقال إنه كان يصلى هناك دائما، وعند الحائط الشرقى، وسط الجامع، رواق عظيم الزخرف من الحجز المصقول، حتى لتظن أنه نحت من قطعة واحدة، ارتفاعه خمسون ذراعا وعرضه ثلاثون، عليه نقوش ونقر، وله بابان جميلان لا يفصلهما أكثر من قدم واحدة، وعليهما زخارف كثيرة من الحديد والنحاس الدمشقى وقد دق عليهما الحلق والمسامير، ويقال إن سليمان بن داود عليه السلام بنى هذا الرواق لأبيه.

وحين يدخل السائر هذا الرواق متجها ناحية الشرق، فالأيمن من هذين البابين هو(باب الرحمة) والأيسر (باب التوبة) ويقال إن هذا الباب هو الذي قبل الله تعالى عنده توبة داود عليه السلام. وعلى هذا الرواق مسجد جميل كان فى وقت ما دهليزا فصيروه جامعا وزينوه بأنواع السجاد وله خدم مخصوصون ويذهب إليه كثير من الناس ويصلون فيه ويدعون الله تبارك وتعالى ، فإنه فى هذا المكان قبل توبة داود وكل إنسان هناك يأمل فى التوبة والرجوع عن المعاصي.

ويقال أن داود عليه السلام لم يكد يطأ عتبة هذا المسجد، حتى بشره الوحي بأن الله سبحانه وتعالى قد قبل توبته، فاتخذ هذا المكان مقاما وانصرف إلى العبادة وقد صليت، أنا ناصر فى هذا المقام، ودعوت الله تعالى أن يوفقني لطاعته، وأن يغفر ذنبي. الله سبحانه وتعالى يهدي عباده جميعا لما يرضاه ويغفر لهم ذنوبهم بحق محمد واله الطاهرين.

وحين يمضى السائر بحذاء الجدار الشرقي إلى أن يبلغ الزاوية الجنوبية، عند القبلة التى تقع على الضلع الجنوبي، يجد أمام الحائط الشمالي، مسجدا بهيئة السرداب ينزل إليه بدرجات كثيرة مساحته عشرون ذراعا فى خمس عشرة، وسقفه من الحجر مرفوع على أعمدة الرخام. وبهذا السرداب مهد عيسى عليه السلام وهو من الحجر، كبير بحيث يصلى عليه الناس، وقد صليت هناك. وقد أحكم وضعه فى الأرض حتى لا يتحرك، وهو المهد الذي أمضى فيه عيسى طفولته وكلم الناس منه، وهو فى المسجد مكان المحراب.

وفى الجانب الشرقي من هذا المسجد محراب مريم عليها السلام. وبه محراب آخر لزكريا عليه السلام. وعلى هذين المحرابين آيات القرآن التى نزلت فى حق زكريا ومريم .

ويقال إن عيسى عليه السلام ولد بهذا المسجد. وعلى حجر من عمده نقش إصبعين كأن شخصا امسكه. ويقال إن مريم أمسكته بإصبعيها وهى تلد.

ويعرف هذا المسجد (بمهد عيسى) عليه السلام، وبه قناديل كثيرة من النحاس والفضة، توقد كل مساء.

حين يخرج السائر من هذا المسجد، متبعا الحائط الشرقي، يجد عندما يبلغ زاوية المسجد الكبير مسجدا آخر عظيما جدا، اكبر مرتين من مسجد (مهد عيسى) يسمى (المسجد الأقصى) وهو الذي أسرى الله عز وجل بالمصطفى صلى الله عليه وسلم ، ليلة المعراج من مكة إليه، ومنه صعد إلى السماء، كما جاء فى القرآن:

«سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى».

وقد بنوا به أبنية غاية فى الزخرف، وفرش بالسجاد الفاخر، ويقوم عليه خدم مخصوصون يعملون به دواما .

وحين يعود السائر إلى الحائط الجنوبي، على مائتى ذراع من تلك الزاوية ، يجد سقفا، وهناك ساحة المسجد، وأما الجزء المسقوف من المسجد الكبير، والذي به المقصورة، فيقع عند الحائطين الجنوبي والغربى. وطول هذا الجزء عشرون وأربعمائة ذراع وعرضه خمسون ومائة ذراع، وبه ثمانون ومائتا عمود من الرخام، على تيجانها طيقان من الحجارة .

وقد نقشت تيجان الأعمدة وهياكلها، وثبتت الوصلات فيها بالرصاص فى منتهى الإحكام. وبين كل عمودين ست أذرع مغطاة بالرخام الملون الملبس بشقاق الرصاص.

والمقصورة فى وسط الحائط الجنوبي، وهى كبيرة جدا تتسع لستة عشر عمودا ، وعليها قبة عظيمة جدا منقوشة بالمينا على نسق ما وصفت، وهي مفروشة بالحصير المغربي، وبها قناديل ومسارج معلقة بالسلاسل ومتباعدة بعضها عن بعض، وبها محراب كبير منقوش بالمينا، وعلى جانبيه عمودان من الرخام لونهما كالعقيق الأحمر، وازار المقصورة كله من الرخام الملون.

وعلى يمينه محراب معاوية، وعلى يساره محراب عمر رضى الله عنه، وسقف هذا المسجد مغطى بالخشب المنقوش المحلى بالزخارف، وعلى باب المقصورة وحائطها المطلان على الساحة خمسة عشر رواقا، عليها أبواب مزخرفة ارتفاع كل منها عشر أذرع وعرضه ست. عشرة من هذه الأبواب تفتح على الجدار الذي طوله عشرون واربعمائة ذراع، وخمسة منها على الجدار الذي طوله خمسون ومائة ذراع.

وقد زين باب منها غاية الزينة، وهو من الحسن بحيث تظن أنه من ذهب، وقد نقش بالفضة وكتب عليه اسم الخليفة المأمون، ويقال إنه هو الذي أرسله من بغداد. وحين تفتح الأبواب كلها ينير المسجد حتى لتظن أنه ساحة مكشوفة، أما حين تعصف الريح وتمطر السماء وتغلق الأبواب، فإن النور ينبعث للمسجد من الكوات، وعلى الجوانب الأربعة من الحرم المسقوف صناديق من مدن الشام والعراق، يجلس بجانبها المجاورون، كما هو الحال فى المسجد الحرام بمكة شرفها الله تعالى:

وخارج هذا الحرم، عند الحائط الكبير الذي مرَّ ذكره، رواق به اثنان وأربعون طاقا، وكل أعمدته من الرخام الملون، وهذا الرواق متصل بالرواق المغربى.

وتحت الأرض فى الحرم المسقوف حوض عمل بحيث يكون فى مستوى الأرض حين يغطى، وقد بنى لتجمع فيه مياه المطر، وعلى الحائط الجنوبى باب يؤدي إلى ميضاة، يذهب إليها من يحتاج إلى الوضوء فيجدده، وذلك لأنه لا يلحق الصلاة إذا هو خرج من المسجد ليتوضأ، إذ أن كبر المسجد يفوت عليه الصلاة، إذا اجتازه، وكل الأسقف ملبسة بالرصاص.

وقد حفرت فى أرض المسجد أحواض وصهاريج كثيرة، فإن المسجد مشيد كله على صخرة، يتجمع فيها ماء المطر، فلا تضيع منه قطرة، وينتفع به الناس.

وهناك ميازيب من الرصاص ينزل منها الماء إلى أحواض حجرية تحتها، وقد ثقبت هذه الأحواض ليخرج منها الماء ويصب فى الصهاريج، بواسطة قنوات بينها، غير ملوث أو عفن، وقد رأيت على بعد ثلاثة فراسخ من المدينة صهريجا كبيرا تنحدر إليه المياه من الجبل وتتجمع فيه، وقد أوصلوه بقناة إلى المسجد، حيث يوجد أكبر مقدار من مياه المدينة.

وفى المنازل كلها أحواض لجمع ماء المطر، إذ لا يوجد غيره هناك، ويجمع كل إنسان ما على سطح بيته من مياه، فإن ماء المطر هو الذي يستعمل فى الحمامات وغيرها.

والأحواض التى بالمسجد لا تحتاج إلى عمارة أبدا، لأنها من الحجر الصلب، فإذا حدث بها شق أو ثقب أحكم إصلاحه حتى لا تتخرب، ويقال إن سليمان عليه السلام هو الذي عمل هذه الأحواض، وقد جعل القسم الأعلى منها على هيئة التنور، وعلى رأس كل حوض غطاء من حجر حتى لا يسقط فيه شئ، وماء هذه المدينة أعذب وأنقى من أي ماء آخر. والميازيب تستمر فى قطر المياه يومين أو ثلاثة ولو كان المطر قليلا، إلى أن يصفو الجو، وتزول آثاره السيئة، وحينئذ يبدأ المطر!

قلت إن مدينة بيت المقدس تقع على قمة جبل وإن أرضها غير مستوية، أما المسجد فأرضه مستوية، فخارج المسجد، حيثما تكون الأرض منخفضة يرتفع حائطه، إذ يكون أساسه فى أرض واطئة، وحيثما تكون الأرض مرتفعة يقصر الجدار.

وفى الجهات الواطئة من أحياء المدينة فتحوا فى المسجد أبوابا كأنها ثقب، تؤدي لساحته، ومن هذه الأبواب باب يسمى «باب النبي» عليه الصلاة والسلام، وهو بجانب القبلة، أي فى الجنوب، وقد عمل بحيث يكون عرضه عشر أذرع وأما ارتفاعه فيتفاوت حسب المكان، فهو فى مكان خمس أذرع، أي علو سقف هذا الممر، وفى مكان آخر عشرون، والجزء المسقوف من المسجد الأقصى مشيد فوق هذا الممر وهو محكم بحيث يتحمل أن يقام فوقه بناء بهذه العظمة من غير أن يؤثر فيه قط.

وقد استخدمت فى بنائه حجارة لا يصدق العقل كيف استطاعت قوة البشر نقلها واستخدامها، ويقال إن سليمان ابن داود عليه السلام هو الذي بناه، وقد دخل منه نبينا عليه الصلوات والسلام إلى المسجد ليلة المعراج، وهذا الباب على جانب طريق مكة.

وعلى الحائط، بقرب هذا الباب، نقش لمجن كبير، يقال إن حمزة بن عبدالمطلب عم النبى عليه السلام كان جالسا هناك وعلى كتفه المجن وظهره مسند إلى الحائط، وأن هذا نقش مجنه.

وعند بوابة المسجد، حيث هذا الممر الذي عليه باب ذو مصراعين، يبلغ ارتفاع الجدار من الخارج ما يقرب من خمسين ذراعا، وقد قصد بهذا الباب أن يدخل منه سكان المحلة المجاورة لهذا الضلع من المسجد، فلا يلجأون إلى الذهاب لمحلة أخرى حين يريدون دخوله، وعلى الحائط الذي يقع يمين الباب حجر ارتفاعه خمس عشرة ذراعا وعرضه أربع أذرع وليس فى المسجد حجر أكبر منه، وفى الحائط، على ارتفاع ثلاثين أو أربعين ذراعا من الأرض، كثير من الحجارة التى يبلغ حجمها أربع أذرع فى خمس.

وفى عرض المسجد باب شرقي، يسمى «باب العين» إذا خرجوا منه نزلوا منحدرا فيه «عين سلوان».

وهناك أيضا باب تحت الأرض يسمى «الحطة» يقال بأنه هو الباب الذي أمر الله عز وجل بنى إسرائيل أن يدخلوا منه إلى المسجد، فى قوله تعالى: زوادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم و«نزيد المحسنين».

وهناك باب آخر يسمونه «باب السكينة»، فى دهليزه مسجد به محاريب كثيرة، باب أولها مغلق حتى لا يلجه أحد. ويقال إن هناك تابوت «السكينة» الذي ذكره الله تبارك وتعالى فى القرآن والذي حمله الملائكة، وأبواب بيت المقدس، ما تحت الأرض وما فوقها تسعة أبواب، كما ذكرت.

**وصف الدكة التى بوسط ساحة المسجد والصخرة التى كانت قبلة الإسلام:**

أقيمت هذه الدكة فى وسط المساحة، لأنه لم يتيسر نقل الصخرة إلى الجزء المسقوف من المسجد لعلوها، وهى تظل مساحة من الأرض مقدراها ثلاثون وثلاثمائة ذراع فى ثلاثمائة وارتفاعها اثنتا عشرة ذراعا، وصحنها مستو، ومزخرف بالرخام الملبس بوصلات الرصاص، وعلى جوانبها الأربعة ألواح الرخام، كما يعمل فى المقابر وهى مبنية بحيث لا يستطيع أحد الصعود عليها من غير المراقى المخصصة لهذا الأمر، ويرى من يصعد عليها سقف الجامع، وقد حفر فى أرضها فى الوسط، حوض يصب فيه مياه المطر بواسطة قنوات أعدت لذلك، وماء هذا الحوض أنقى وأعذب من كل ماء فى الجامع، وعلى هذه الدكة أربع قباب، أكبرها قبة الصخرة التى كانت القبلة.

زيارة الملك فيصل الى القدس، إلى يمينه مفتي القدس الحاج أمين الحسيني و إلى يساره السيد روحي عبد الهادي ممثلاً حكومة فلسطين.
القدس 1924
مصور مجهول
مجموعة عائلة عبد الهادي / المؤسسة العربية للصورة



## وصف قبة الصخرة:

بنى المسجد بحيث تكون الدكة فى وسط الساحة، وقبة الصخرة فى وسط الدكة والصخرة وسط القبة، وقبة الصخرة بيت مثمن منظم، كل ضلع من أضلاعه الثمانية ثلاث وثلاثون ذراعا وله أربعة أبواب، على الجهات الأربع الأصلية، باب شرقى وآخر غربى وثالث شمالى ورابع جنوبى، وبين كل بابين ضلع، وجميع الحوائط من الحجر المنحوت، وارتفاعها عشرون ذراعا.

ومحيط الصخرة مائة ذراع، وهى غير منتظمة الشكل، لا هى مدورة ولا مربعة، ولكنها حجر غير منتظم كحجارة الجبل، وقد بنوا على جوانب الصخرة الأربعة أربع دعائم مربعة، بارتفاع حائط الدكة المذكورة، وبين كل دعامتين على الجوانب الأربعة، عمودان اسطوانيان من الرخام، بنفس الارتفاع، وعلى قمة تلك الدعائم وهذه الأعمدة الإثنى عشر، بنوا القبة التى تحتها الصخرة، والتى يبلغ محيطها مائة وعشرين ذراعا.

وبين حائط هذا البناء والدعائم والأعمدة (أسمي المربعة المبنية «ستون» دعامة والمنحوتة المستديرة التى من حجر واحد «اسطوانة» عمودا) ثمانى دعائم أخرى مبنية من الحجارة المنحوتة، وبين كل اثنتين منهما ثلاثة أعمدة من الرخام الملون على أبعاد متساوية، بحيث يكون فى الصف الأول عمودان بين كل دعامتين، ويكون هناك ثلاثة أعمدة بين كل دعامتين.

وعلى تاج كل دعامة أربعة عقود، على كل عقد طاق، وعلى كل عمود عقدان فوق كل منهما طاق، وهكذا يكون على العمود متكأ لطاقين، وعلى الدعامة متكأ لأربعة، فكانت هذه القبة العظيمة فى ذلك الوقت مرتكزة على هذه الدعامات الاثنتى عشرة المحيطة بالصخرة، فتراها على بعد فرسخ كأنها قمة جبل، لأنها من أساسها إلى قمتها ثلاثون ذراعا، وهى تستند إلى أعمدة ودعامات ارتفاعها عشرون ذراعا، وقبة الصخرة مشيدة على بيت ارتفاعه اثنتى عشرة ذراعا، إذاً، فمن ساحة المسجد إلى رأس القبة اثنتان وستون ذراعا.

وأسقف وقباب هذه الدكة مكسوة بالنجارة، وكذلك الدعائم والعمد والحوائط وذلك بدقة قل نظيرها، والصخرة أعلى من الأرض بمقدار قامة رجل، وقد أحيطت بسياج من الرخام حتى لا تصل يد إليها.

والصخرة حجر أزرق لونه لم يطأها أحد برجله أبدا، وفى ناحيتها المواجهة للقبلة انخفاض، كأن إنسانا سار عليها فبدت آثار أصابع قدميه فيها، كما تبدو على الطين الطري، وقد بقيت عليها آثار سبع أقدام، وسمعت أن إبراهيم عليه السلام كان هناك، وكان إسماعيل طفلا فمشى عليها وهذه هى آثار أقدامه.

ويقيم فى بيت الصخرة جماعة من المجاورين والعابدين، وقد زينت أرضه بالسجاد الجميل من الحرير وغيره، وفى وسطه قنديل من الفضة، معلق بسلسلة فضية فوق الصخرة، وهناك قناديل كثيرة من فضة، كتب عليها وزنها، أمر بصنعها سلطان مصر، وقد قدرت ما هناك من الفضة بألف من.

ورأيت هناك أيضا شمعة كبيرة جدا طولها سبع أذرع وقطرها ثلاثة أشبار، لونها كالكافور الزباحى وشمعها مخلوط بالعنبر، ويقال إن سلطان مصر يرسل هناك كل سنة كثيرا من الشمع، منه هذه الشمعة الكبيرة، ويكتب عليها اسمه بالذهب.

وهذا المسجد هو ثالث بيوت الله سبحانه وتعالى، والمعروف عند العلماء أن كل صلاة فى بيت المقدس تساوي خمسة وعشرين ألف صلاة، وكل صلاة فى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام تعد بخمسين ألف صلاة، وأن صلاة مكة المعظمة شرفها الله تعالى تساوي مائة ألف صلاة، وفق الله عز وجل عباده جميعا لهذا الثواب.

وقد قلت إن أسقف وظهور القباب ملبسة بالرصاص، وعلى جوانب الدكة الأربعة أبواب كبيرة ذات مصراعين من خشب الساج وهى مقفلة دائما، وبعد قبة الصخرة قبة تسمى «قبة السلسلة»، وهى السلسلة التى علقها داود عليه السلام، والتى لا تصل إليها إلا يد صاحب الحق، أما يد الظالم والغاصب فلا تبلغها، وهذا المعنى المشهور عند العلماء.

وهذه القبة محمولة على رأس ثمانية أعمدة من الرخام، وست دعائم من الحجر، وهى مفتوحة من جميع الجوانب عدا جانب القبلة، فهو مسدود حتى نهايته، وقد نصب عليه محراب جميل.

وعلى الدكة نفسها قبة أخرى مقامة على أربعة أعمدة من الرخام، وهى مغلقة من ناحية القبلة أيضا، حيث بنى محراب جميل، وتسمى هذه القبة «قبة جبريل» عليه السلام، وليس فيها فرش، بل إن أرضها من حجر مستو، ويقال إن هنا أعد «البراق» ليركبه النبى عليه السلام ليلة المعراج.

وبعد قبر «قبة جبريل» تأتى «قبة الرسول» عليه الصلاة والسلام وبينهما عشرون ذراعا، وهى مقامة على أربعة أعمدة من الرخام أيضا، ويقال إن الرسول عليه الصلاة والسلام، صلى ليلة المعراج فى قبة الصخرة أولا ثم وضع يده على الصخرة، فلما خرج وقفت لجلالته، فوضع الرسول عليه الصلاة والسلام يده عليها لتعود إلى مكانها وتستقر وهى بعد نصف معلقة، وقد ذهب الرسول عليه السلام من هناك إلى القبة التى تنتسب إليه وركب البراق، وهذا سبب تعظيمها.

وتحت الصخرة غار كبير، يضاء دائما بالشمع، يقال إنه حين قامت الصخرة خلا ما تحتها، فلما استقرت بقى هذا الجزء كما كان.

## وصف المراقى المؤدية إلى الدكة التى بساحة الجامع:

يُسار إلى هذه الدكة من ستة مواضع: لكل منها اسم، فبجانب القبلة طريقان، يصعد فيهما على درجات، فإذا وقفت فى وسط الدكة وجدت أحدهما على اليمين، والثانى على اليسار، والذي على اليمين يسمى مقام النبى عليه السلام، والذي على يسار يسمى مقام الغوري، وسمى الأول مقام النبى لأن النبى عليه الصلاة والسلام صعد على درجاته إلى الدكة ليلة المعراج، ودخل إلى قبة الصخرة.

ويقع طريق الحجاز على هذا الجانب، وعرض درجاته عشرون ذراعا، وهى من الحجر المنحوت المنتظم، وكل درجة قطعة أو قطعتان من الحجر المربع، وهى معدة بحيث يستطيع الزائر الصعود عليها راكبا، وعلى قمة هذه الدرجات أربعة أعمدة من الرخام الأخضر الذي يشبه الزمرد، لولا أن به نقطا كثيرة من كل لون، ويبلغ ارتفاع كل عمود منها عشر أذرع، وقطره بقدر ما يحتضن رجلان.

وعلى رأس هذه الأعمدة الأربعة ثلاثة طيقان، أحدهما مقابل الباب والآخران على جانبيه، وسطح الطيقان أفقى، من فوقه شرفات بحيث يبدو مربعا، والعمد والطيقان منقوشة كلها بالذهب والمينا، ليس أجمل منها، ودرابزين الدكة كله من الرخام الأخضر المنقط، حتى لتقول أن عليه روضة ورد ناضر.

وقد أعد مقام الغوري بحيث تكون ثلاثة سلالم على موضع واحد، أحدهما محاذ للدكة والآخران على جانبيها، حتى يستطاع الصعود من ثلاثة أماكن، ومن فوق هذه السلالم الثلاثة أعمدة عليها طيقان وشرفة، والدرجات، بالوصف الذي ذكرت، من الحجر المنحوت، كل درجة قطعتان أو ثلاث من الحجر المستطيل، وكتب بخط جميل بالذهب على ظهر الطاق: أمر به الأمير ليث الدولة نوشتكين الغوري.

ويقال إنه كان تابعا لسلطان مصر، وهو الذي أنشأ هذه الطرق والمراقى.

وعلى الجانب الغربى للدكة سلمان فى ناحيتين منها، وهناك طريق عظيم مشابه لما ذكرت، وكذلك فى الجانب الشرقى طريق عظيم مماثل، عليه أعمدة فوقها طيقان وشرفة يسمى المقام الشرقى.

وعلى الجانب الشمالي طريق أكثر علوا وأكبر منها كلها، به أعمدة فوقها طيقان، يسمى المقام الشامي، وأظن أنهم صرفوا على هذه الطرق الستة مائة ألف دينار.

وفى الجانب الشمالى لساحة المسجد، لا على الدكة، بناء كأنه مسجد صغير، يشبه الحظيرة، وهو من الحجر المنحوت، يزيد ارتفاع حوائطه على قامة رجل ويسمى «محراب داود» وبالقرب منه حجر غير مستو يبلغ قامة رجل، وقمته تتيح وضع حصيرة صلاة صغيرة عليها. ويقال إنه كرسى سليمان عليه السلام الذي كان يجلس عليه أثناء بناء المسجد.

هذا ما رأيت فى جامع بيت المقدس، وقد صورته وضممته إلى مذكراتى، ومن النوادر التى رأيتها فى بيت المقدس شجرة الحور.

بعد الفراغ من زيارة بيت المقدس عزمت على زيارة مشهد إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام، فى يوم الأربعاء غرة ذى القعدة سنة ٤٣٨ (٢٠ أبريل سنة ١٠٤٧)، والمسافة بينهما ستة فراسخ، عن طريق جنوبى به قرى كثيرة وزرع وحدائق وشجر بري لا يحصى من عنب وتين وزيتون وسماق.

وعلى فرسخين من بيت المقدس أربع قرى بها عين وحدائق وبساتين كثيرة، تسمى «الفراديس» لجمال موقعها، وعلى فرسخ واحد من بيت المقدس، مكان للنصارى يعظمونه كثيرا، يقيم بجانبه مجاورون ويحج إليه كثيرون، اسمه «بيت اللحم»، وهناك يقدم النصارى القرابين ويقصده الحجاج من بلاد الروم، وقد بلغته مساء اليوم الذي قمت فيه من بيت المقدس.

**وصف قبر الخليل صلوات الله عليه:**

يسمى أهل الشام وبيت المقدس هذا المشهد «الخليل» ولا يذكرون اسم القرية التى هو فيها، قرية مطلون، وهى موقوفة عليه مع قرى كثيرة، وفى هذه القرية عين ماء تخرج من الصخر، يتفجر ماؤها رويدا رويدا، وهو ينقل من مسافة بعيدة بواسطة قناة إلى خارج القرية، حيث بنى حوض مغطى، يصب فيه الماء فلا يذهب هباء، حتى يفي بحاجة أهل القرية وغيرهم من الزائرين.

والمشهد على حافة القرية من ناحية الجنوب، وهى فى الجنوب الشرقى، والمشهد يتكون من بناء ذي أربعة حوائط من الحجر المصقول، طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون، وارتفاعه عشرون، وثخانة حوائطه ذراعان، وبه مقصورة ومحراب فى عرض البناء، وبالمقصورة محاريب جميلة بها قبران رأسهما للقبلة، وكلاهما من الحجر المصقول بارتفاع قامة الرجل، الأيمن قبر اسحق بن إبراهيم، والآخر قبر زوجته عليها السلام، وبينهما عشر أذرع.

وأرض هذا المشهد وجدرانه مزينة بالسجاجيد القيمة والحصر المغربية التى تفوق الديباج حسنا، وقد رأيت هناك حصير صلاة، قيل أرسلها أمير الجيوش، وهو تابع لسلطان مصر، وقد اشتريت من مصر بثلاثين دينارا من الذهب المغربى، ولو كانت من الديباج الرومى لما بلغت هذا الثمن، ولم أر مثلها فى مكان قط.

حين يخرج السائر من المقصورة إلى وسط المشهد، يجد مشهدين أمام القبلة: الأيمن به قبر إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، وهو مشهد كبير، ومن داخله مشهد آخر لا يستطاع الطواف حوله، ولكن له أربع نوافذ منها، فيراه الزائرون وهم يطوفون حول المشهد الكبير، وقد كسيت أرضه وجدرانه ببسط من الديباج، والقبر من الحجر، ارتفاعه ثلاث أذرع، وعلق به كثير من القناديل والمصابيح الفضية.

والمشهد الثانى الذي على يسار القبلة به قبر سارة زوج إبراهيم عليه السلام، وبين القبرين ممر عليه باباهما، وهو كالدهليز وبه كثير من القناديل والمسارج.

وبعد هذين المشهدين قبران متجاوران، الأيمن قبر النبى يعقوب عليه السلام، والأيسر قبر زوجه.

وبعدهما المنازل التى اتخذها إبراهيم لضيافة زائريه، وبها ستة قبور.

وخارج المشهد منحدر به قبر يوسف بن يعقوب عليه السلام، وهو من الحجر وعليه قبة جميلة ، وعلى جانب الصحراء بين قبر يوسف، ومشهد الخليل عليهما السلام، قرافة كبيرة يدفن بها الموتى من جهات عديدة.

وعلى سطح المقصورة فى المشهد، حجرات للضيوف الوافدين، وقد وقف عليها أوقاف كثيرة من القرى ومستغلات بيت المقدس.

وأغلب الزراعة هناك الشعير، والقمح قليل، والزيتون كثير، ويعطون الضيوف والمسافرين والزائرين الخبز والزيتون، وهناك طواحين كثيرة تديرها البغال والثيران لطحن الدقيق، وبالمضيفة خادمات يخبزن طول اليوم، ويزن رغيفهم منا واحدا، ويعطى من يصل هناك رغيفا مستديرا وطبقا من العدس المطبوخ بالزيت وزبيبا كل يوم، وهذه عادة بقيت من أيام خليل الرحمن عليه السلام حتى الساعة، وفى بعض الأيام يبلغ عدد المسافرين خمسمائة، فتهيأ الضيافة لهم جميعا.

ويقال إنه لم يكن لهذا المشهد باب، وكان دخوله مستحيلا، بل كان الناس يزورونه من الإيوان فى الخارج، فلما جلس المهدي على عرش مصر أمر بفتح باب فيه، وزينه وفرشة بالسجاجيد، وأدخل على عمارته إصلاحا كثيرا، وباب المشهد وسط الحائط الشمالى على ارتفاع أربع أزرع فوق الأرض، وعلى جانبيه درجات من الحجر، فيصعد إليه من جانب، ويكون النزول من الجانب الثانى، ووضع هنا باب صغير من الحديد.

ثم رجعت إلى بيت المقدس ومن هناك سرت ماشيا مع جماعة تقصد الحجاز، وكان دليلنا رجلا اسمه أبو بكر الهمدانى، وهو رجل جلد يقدر على المشى، وجهه جميل، غادرت بيت المقدس فى منتصف ذي القعدة سنة ٤٣٧ (أول مايو ١٠٤٧)، وبعد ثلاثة أيام بلغت جهة تسمى «أعز القرى»، بها ماء جار وأشجار، ثم غادرها إلى منزل آخر يسمى «وادي القرى»، ومن بعده نزلنا مكانا ثالثا، ثم بلغنا مكة بعد عشرة أيام، لم تحضر لمكة قافلة من أي بلد فى هذه السنة، ولم يكن الطعام متوفرا، وقد نزلت فى سكة العطارين أمام باب النبى عليه السلام. وفى يوم الأثنين طلعت عرفات، وكان الناس مملوئين رعبا من العرب، ولما عدت من عرفات لبثت بمكة يومين، ثم رجعت إلى بيت المقدس عن طريق الشام.

بلغنا بيت المقدس فى الخامس من المحرم سنة ٤٣٩ (٧ يوليو ١٠٤٧)، ولا أذكر هنا وصف مكة والحج، سأذكر ذلك عند الكلام على الحجة الأخيرة.

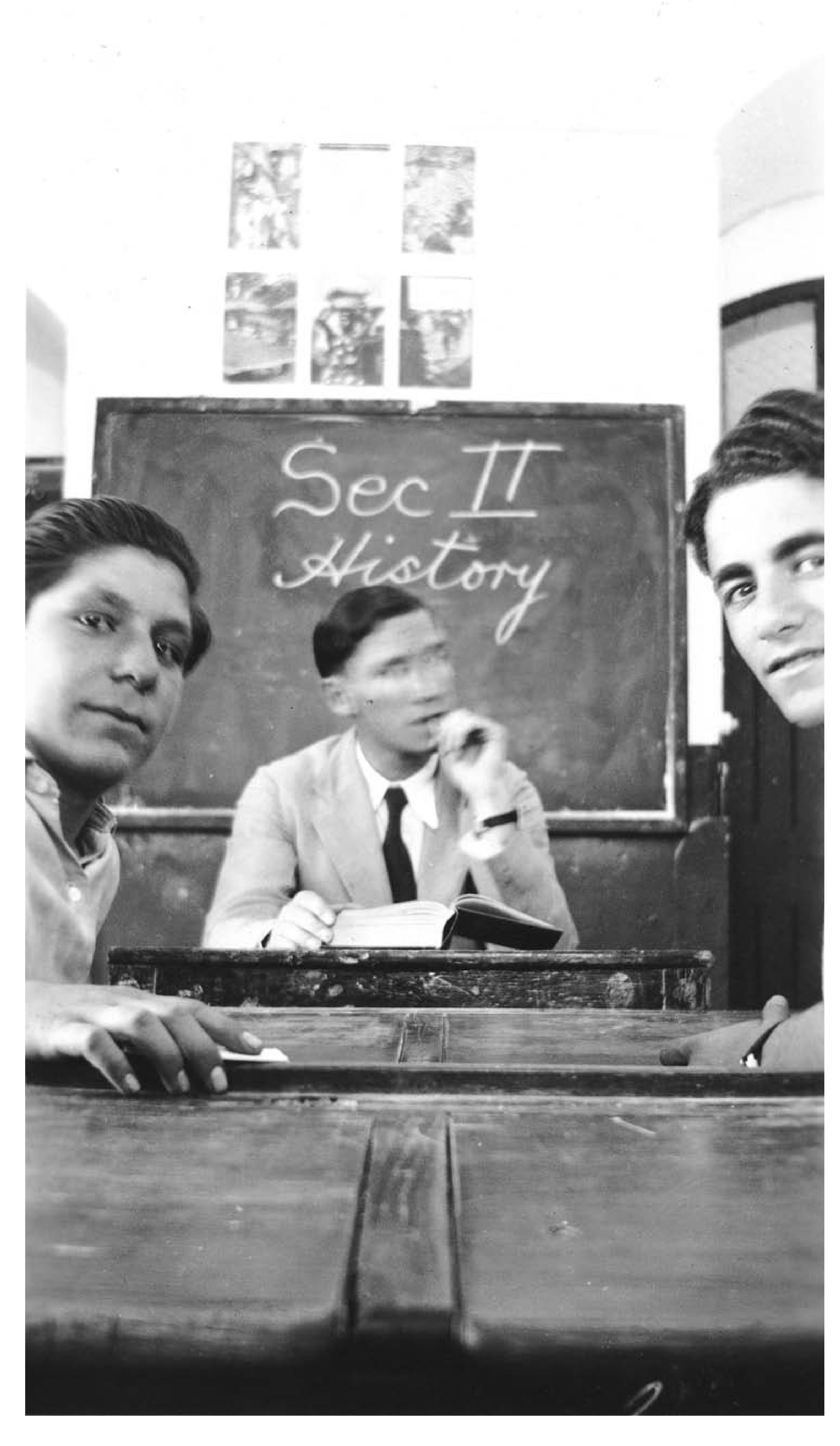
**كنيسة بيعة القمامة:**

وللنصارى فى بيت المقدس كنيسة يسمونها «بيعة القمامة»، لها عندهم مكانة عظيمة، ويحج إليها كل سنة كثير من بلاد الروم، ويزورها ملك الروم متخفيا، حتى لا يعرفه الناس، وقد زارها أيام عزيز مصر الحاكم بأمر الله فبلغ ذلك الحاكم، فأرسل إليه أحد حراسه ـ بعد أن عرفه أن رجلا بهذه الحلية والصورة يجلس فى كنيسة بيت المقدس ـ وقال له : «اذهب عنده وقل له: الحاكم أرسلنى إليك ويقول: لا تحسبنى أجهل أمرك، ولكن كن آمنا فلن أقصدك بسوء»، وقد أمر الحاكم هذا بالإغارة على الكنيسة فهدمها وخربها، وظلت خربة مدة من الزمان.

وبعد ذلك بعث القيصر إليه رسلا، وقدم كثيرا من الهدايا والخدمات وطلب الصلح والشفاعة ليؤذن له بإصلاح الكنيسة فقبل الحاكم وأعيد تعميرها.

وهذه الكنيسة فسيحة تسع ثمانية آلاف رجل، وهى عظيمة الزخرف، من الرخام الملون والنقوش والصور، وهى مزدانة من الداخل بالديباج الرومى والصور، وزينت بطلاء من الذهب، وفى أماكن كثيرة منها صورة عيسى عليه السلام، وهذه الصور مطلية بزيت السندوس.

وقد غطى سطح كل صورة بلوح من الزجاج الشفاف على قدها، بحيث لا يحجب منها شئ وذلك حتى لا يصل الغبار إليها، وينظف الخدم هذا الزجاج كل يوم، وهناك عدا ذلك عدة مواضع أخرى كلها مزينة، ولو وصفتها لطالت كتابتى، وفى هذه الكنيسة لوحة مقسمة إلى قسمين عملا لوصف الجنة والنار، فنصف يصف الجنة وأهلها، ونصف يصف النار وأهلها ومن يبقى فيها، وليس لهذه الكنيسة نظير فى أي جهة من العالم، ويقيم بها كثير من القسس والرهبان، يقرءون الإنجيل ويصلون ويشتغلون بالعبادة ليل نهار.




طلاب خلال حصّة التاريخ في مدرسة مار جرجس
القدس 1938
مصور مجهول
مجموعة سامي خوري / المؤسسة العربية للصورة

## (٢) رحالة عاصروا مواجهة الحملات الصليبية

(الإدريسى ـ ابن جبير ـ الهروى ـ أسامة بن منقذ)

حفل القرن الثانى عشر (السادس) بعدد من كبار الرحالين العرب الذين أفاد منهم التاريخ كثيرا، فيما دونوا ووصفوا، ونلقى الضوء هنا على نتاج أربعة منهم هم الإدريسى، وابن جبير، والهروى، وأسامة بن منقذ.

وسنعرض نتاج لهؤلاء الرحالة الذين عاصروا الهجمة الصليبية على العالم العربى والإسلامى فى العصور الوسطى. واتخذت الهجمة الصليبية شكل حملات حربية استعمارية على بلاد المسلمين، خاصة منطقة بلاد الشام بقصد امتلاكها، وقد انبعثت هذه الحركة من الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التى سادت غرب أوروبا فى القرن الحادي عشر الميلادي، واتخذت من استغاثة البيزنطيين ضد السلاجقة المسلمين ستارا دينيا للتعبير عن نفسها تعبيرا عمليا واسع النطاق، وسميت باسم الحروب الصليبية نسبة إلى الصليب الذي اتخذه المحاربون شعارا لهم.. والدين منهم براء، واستمرت هذه الحروب من (١٠٩٥ م إلى ١٢٩١م) فى منطقة الشام، وجاءت الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق الأدنى وبلاد الشام مفككة سياسيا لا تربط بين أجزائها وحدة سياسية ولا تهيمن عليها قوة كبرى تستطيع أن تصد الخطر الغربى...، هذا فى الوقت الذي كانت فيه الخلافة العباسية تعانى ضعفا واضحا والخلافة الفاطمية فى القاهرة تسير فى طريق الانهيار، ونجحت الحملة الصليبية الأولى فى تكوين عدة إمارات للصليبيين فى الشام وشمال العراق والاستيلاء على بيت المقدس (١٠٩٩م) حتى كان ظهور عماد الدين زنكى ومن بعده نور الدين محمود ليقوما بدور بارز فى مدافعة الصليبيين وتكوين جبهة إسلامية متحدة، ثم استطاع صلاح الدين الأيوبى ـ مؤسس الدولة الأيوبية فى مصر ـ (٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ/ ١١٧١ ـ ١٢٥٠ م) أن ينزل ضربته الكبرى بالصليبيين فى حطين، ثم يسترد منهم بيت المقدس (٥٨٣هـ) واستمر الصراع حتى استطاعت دولة المماليك فى مصر (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) استئصال شأفة الصليبيين نهائيا من الشام...

مدرسة شميدت الالمانية للبنات
القدس 1930
مصور مجهول
مجموعة ربيحة دجاني / المؤسسة العربية للصورة



### ١ ـ الشريف الإدريسى (١١٠٠ ـ ١١٦٤م):

ولد الشريف الإدريسى فى سبتة سنة ٤٩٣/ ١١٠٠، وهناك تلقى علومه الأولى، ولعله أن يكون قد توفر على دراسة أمور كثيرة فى قرطبة. ويبدو من كتابه احاطته بالمعرفة العلمية التى كانت فى عصره إحاطة تامة، إذ يبدو عليه اتقان الحساب والهندسة والفلك والجغرافية، والعلم بالأعشاب ومعرفة الطب والدربة فى أحوال العالم السياسية، وهذه المعرفة لا شك أنها حصيلة الدرس الطويل والسفر الكثير والملاحظة الدقيقة، أما أسفار الإدريسى، وهى التى يسرت له الأسس لكتابة «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق»، فقد كانت واسعة النطاق.. ففى شمال أفريقية زار المدن والقرى، والظاهر أنه فعل نفس الشئ فى الأندلس. وتعرف إلى ديار الشام ومصر، حيث أقام مدة طويلة. ويظهر أن إقامته بالشرق كانت طويلة، بصفته أحد النوابغ وأحد الأشراف أيضا.. ولا يستبعد أنه كان ينوي الإقامة على الدوام بأحد أقطار المشرق، بالشام مثلا أو بمصر.

وزار الإدريسى صقلية، حيث تعرف إلى ملكها روجار، الذي أكرمه واحترمه لعلمه، ثم دعاه للإقامة فى بلاطه ليصنع له شيئا فى شكل صورة العالم.. فقبل الدعوة، وأقام هناك نحو عشرين سنة فى جو أقل ما يقال فيه أن العلم والعلماء كانوا فيه موضع تقدير واحترام. وقد صنع الأدريسى خريطة العالم على «لوح الترسيم»، وهو دائرة من الفضة الخالصة، ثم وصف هذه الأقاليم، فخرج من ذلك كتابه «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق»، وتم له ذلك فى خمس عشرة سنة، ولم يكتف الإدريسى بما عنده من معرفة مختزنة أو اختبار، بل لقد اتصل بكل من له علم بشئ ما، فأخذ منهم ما عندهم وقابل الأخبار والمعلومات والمعارف، وقارن بينها وقبل منها ما ثبتت صحته بالمقارنة والتدليل، وترك ما كثر الاختلاف بشأنه، وهكذا حظى العالم بهذا الكنز القيم، فوصلت إلينا خارطة العالم، ونزهة المشتاق، وقد توفى روجار عام ٥٤٨ هـ/ ١١٥٤ م، بعد فراغ الإدريسى عن عمله، فاضطربت الأحوال فى صقلية، فرأى الإدريسى الخير فى العودة إلى بلده، حيث قضى ما تبقى من سنيه إلى أن توفى سنة ٥٦٠/١١٦٤.

ويهمنا هنا إلقاء الضوء على وصف الإدريسى لبيت المقدس، وكان تحت الاحتلال الصليبى عند قدم الإدريسى إلى بلاد الشام خلال القرن السادس الهجري، الثانى عشر الميلادي، ونجح الصليبيون وقتها فى إقامة إمارات صليبية فى عدد من مناطق بلاد الشام، وكان وصف الإدريسى لمدينة بيت المقدس، كما يذكر أحد الباحثين، «لا تدع مجالا للشك فى أنه يعبر عن رؤية شاهد عيان معاصر للوجود الصليبى بها (خلال أواسط القرن السادس الهجري/ الثانى عشر الميلادي)، ومن ثم تميزت نصوصه حول مدينة بيت المقدس عن نصوص الجغرافيين المسلمين السابقين».

وقد تميز الإدريسى عن الجغرافيين المسلمين الآخرين، الذين زاروا بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية (على مدى القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثانى عشر، والثالث عشر الميلاديين) بأنه أكثرهم تفصيلا بشأن المزارات المسيحية المقدسة فى فلسطين، ولعل تعليل ذلك أن الكتاب الذي ألفه وعنى به «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» قد ألف أصلا بناء على طلب ملك صقلية المسيحى «روجر الثاني».

كتب الإدريسى عن المزارات المسيحية والأماكن الدينية الإسلامية فى مدينة بيت المقدس، ومن المزارات المسيحية التى تحدث عنها الإدريسى «الكنيسة العظمى المعروفة بكنيسة القيامة ويسميها المسلمون قمامة وهى الكنيسة المحجوج إليها من جميع بلاد الروم...».

أما الأماكن الدينية الإسلامية فنجده يتحدث عن: المسجد الأقصى، ويصفه بأنه «ليس فى الأرض كلها مسجد على قدره إلا المسجد الجامع الذي بقرطبة من ديار الأندلس..» كذلك وصف قبة الصخرة وأماكن دينية إسلامية أخرى.

أما الزوايا الاقتصادية، فقد تناول الإدريسى النشاط الزراعى فى مدينة بيت المقدس، وذكر «أن مدينة بيت المقدس فى وهدة بين جبال كثيفة الأشجار، أي شجر الزيتون والتين والجميز وفواكه كثيرة».

وهكذا قدم لنا الإدريسى من خلال ترحاله فى مدينة بيت المقدس، العديد من الجوانب الدينية والاقتصادية هناك زمن الحروب الصليبية.

**٢ ـ رحلة ابن جبير:**

ابن جبير عربى أندلسى، واسمه أبو الحسين محمد بن جبير الكنانى، وهو من مواليد ٥٤٠ هـ (١١٤٥م)، وتعلم على أبيه وغيره من علماء عصرة، ثم استخدمه أمير غرناطة أبو سعيد بن عبدالمؤمن ملك الوحدين فى وظيفة كاتم سره، فاستوطن من وقتئذ غرناطة.

وابن جبير من الرحالة الأندلسيين الذي قدموا إلى بلاد الشام (خلال القرن السادس الهجري/ الثانى عشر الميلادي)، وأرخ لرحلة هامة تناول فيها العديد من الجوانب السياسية، والحربية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعقائدية، فى حياة بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، وفى بعض الأحيان نجده ينفرد بإيراد إشارات لا نجد لها نظيرا فى رحلات الرحالة المسلمين الذين زاروا بلاد الشام فى ذلك العصر، ومن ثم تحتل رحلته مكانة خاصة بين مؤلفات الرحالة المسلمين.

وتتميز «رحلة ابن جبير» عن سواها من الرحلات بأنها أشبه بيوميات سفر صاغها ابن جبير فى أسلوب بارع وصوَّر فيها بكلام سهل بسيط الأحاسيس واعتلجت فى نفسه فى المواضع التى زارها، أو عند مشاهدته الآثار التى رأها. فجاءت رحلته ذات نفحة أدبية تمثل ذروة ما وصل إليه هذا الفن عند العرب من إتقان وجودة. هذا إلى عناية فائقة بالرسوم الدينية والمعاهد الثقافية والنواحى الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية مما يضفى على رحلته صفة التنوع والشمول بالتدقيق والإحصاء والتجربة والتنظيم والمقدرة على منح المرئيات إطار الحياة والواقع.

لم يقم ابن جبير برحلة واحدة، بل قام بثلاث رحلات، قصد فيها جميعا الحج، الذي كان مقصد كل الراحلين من المغرب إلى المشرق، ودوَّن أخبار الرحلة الأولى فى شبه مذكرات يومية باسم «تذكرة بالأخبار عن اتفاقات «الأسفار» ولعله كتبها سنة (٥٨٢هـ/١١٨٦م)»، «والرحلة الثانية قام بها ابن جبير لما شاع الخبر المبهج بفتح «المقدس» (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب..»، وكتاب «رحلة ابن جبير» هو رحلة قام بها ابن جبير للحج إلى الأراضى الحجازية، واستغرقت عامين وثلاثة أشهر ونصف الشهر (من شهر شوال ٥٧٨هـ/ فبراير ١١٨٢م، إلى شهر محرم ٥٨١هـ / أبريل ١١٨٥م). وزار فيها مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية فى عصر الحروب الصليبية.»

ولم يدون ابن جبير أخبار هذه الرحلات كلها، بل اكتفى بتسجيل الرحلة الأولى ـ كما سبقت الإشارة، فى كتابه المعروف باسم «تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار»، الذي كتبه مؤلفه حوالى سنة ٥٨٢هـ (١١٨٦م)، وتداولته أيدي القراء مخطوطا فى الشرق والغرب، حتى قام على نشره وطبعه ويليام رايت الإنجليزي سنة ١٨٥٢م، وراجعه بعده دي خويه الهولندي سنة ١٩٠٧، فى الجزء الخامس من سلسلة جب التذكارية، ومن هنا تأتى أهمية رحلة ابن جبير لكونها معاصرة للحروب الصليبية وقيادة صلاح الدين الأيوبى. والرحلة بهذا تلقى أضواء على الحياة الاجتماعية فى تلك الحقبة من الزمن كما تكشف جانبا من تاريخ الحروب الصليبية وهى الحروب التى منعته من دخول القدس والوصول إلى أعماق فلسطين فى طوافه، حيث اكتفى بعكا ورأس العين وصور نظرا لاحتلال الصليبيين أجزاء من فلسطين، وتأسيسهم مملكة بيت المقدس الصليبية.

ويشيد ابن جبير بالسلطان صلاح الدين قائلا: الذي لا يأوي لراحة ولا يخلد إلى دعة، ولا يزال مسرجه مجلسه.

وتحت عنوان (من أعجب الأحاديث) يروي ابن جبير طرفا من تكتيك صلاح الدين الحربى (فهو مرابط بقوات ضاربة شرسة حول حصن الكرك، ويورط قوى الفرنجة المكثفة لتسلك طريقا وعرا ويناوشهم.... كراً وفراً والحركة الخفيفة المستمرة قد أقضت مضاجع العدو. ويؤكد ابن جير أن الكرك وحصن الكرك بقعة من أرض فلسطين وهى سرارة أرض فلسطين أي أطيبها.

وبالنسبة لبيت المقدس يذكر ابن جبير فى رحلته المشهورة بيت المقدس فى خمسة مواضع:

١ ـ عندما كان يقارن بين المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها من جهة الأطوال والمساحة فقال عن مسجد بيت المقدس إن طوله ٧٨٠ ذراعا وعرضه ٤٥٠ ذراعا، وسواريه ٤١٤ سارية وقناديله ٥٠٠ قنديل، وأبوابه خمسون بابا.

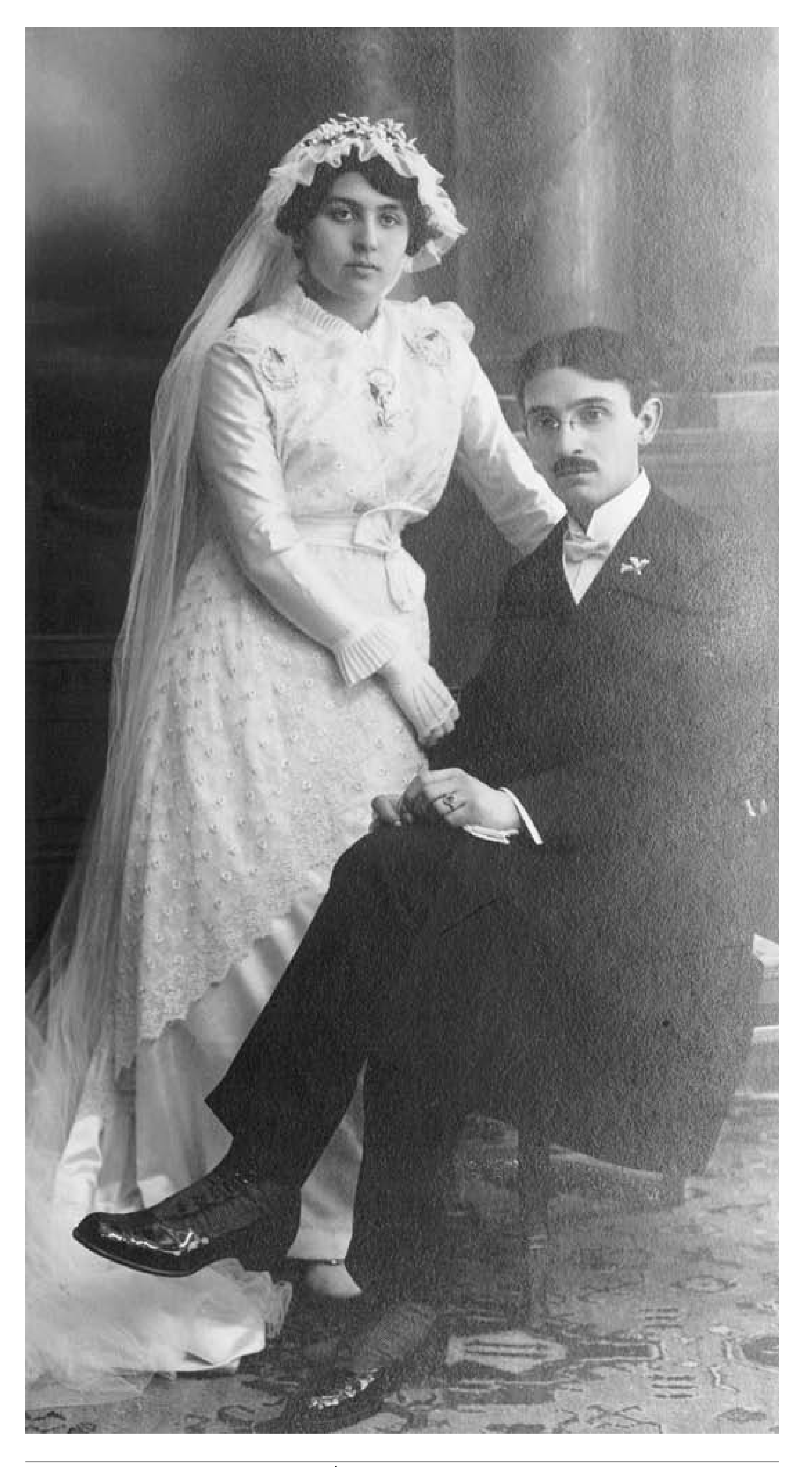
٢ ـ عندما كان يتحدث عن دمشق وتحدث عن كنيسة مريم، وقال إنه ليس بعد بيت المقدس عندهم أفضل منها.

٣ ـ عندما كان يتحدث عن خروج صلاح الدين لمقاتلة صاحب حصن الكرك الصليبى وذكر أن بين الحصن وبيت المقدس مسيرة يوم أو أكثر قليلا.

٤ ـ عندما كان يتحدث عن قبة الرصاص القائمة وسط جامع دمشق فقد قال إنه لا يوجد أعجب منظرا ولا أعظم سمواً ولا أغرب بنيانا من هذه القبة إلا ما يحكى عن قبة بيت المقدس.

٥ ـ عندما حدد ابن جبير المسافة بين عكا وبيت المقدس بثلاثة أيام وبين دمشق وبيت المقدس بمقدار ثمانية أيام.

ويبدو واضحا من العرض السابق أن ابن جبير رجل ذو عاطفة دينية جياشة، ومشاعره الإسلامية واضحة بصورة لا تذكر، ومن ثم نجد تعبيراته صريحة لا سيما حيال عدائه للصليبيين، فى بلاد الشام.



ولد يوهانس كريكوريان في نهاية القرن التاسع عشر و هو إبن إحد أشهر مصوري القدس في تلك الفترة، غارابيد كريكوريان، صاحب استديو كريكوريان في شارع يافا. انضم يوهانس للعمل مع والده بعد إنتهائه من دراسة التصوير في كولونيا عام 1913، و تزوّج من نجلة وهي إبنة أخ المصوِّر خليل رعد.

في الصورة:

يوهانس و نجلة كريكوريان

القدس 1913

المصور: غارابيد كريكوريان

مجموعة عايدة قعوار كريكوريان / المؤسسة العربية للصورة

**٣ ـ الهروى:**

جاء بعد ابن جبير معاصره الرحالة المؤرخ على ابن أبى بكر الهروى (وتوفى عام ٦١١هـ) وهو الذي قال عنه ابن خلكان (طاف أكثر المعمور) فقد أقام ببيت المقدس تحت سلطة الصليبيين وألف كتاب (الإشارات إلى معرفة الزيارات)، وخص القسم الأوفى منه بوصف بلد مآب ومدينة طبرية وأعمالها، ونابلس والقدس الشريف وما حوله، والطريق من القدس إلى مدينة الخليل، والخليل والطريق من القدس إلى عسقلان.

وأفاد من كتاب الهروى كثير من المؤلفين منهم المؤرخ الرحالة ابن العديم (٥٨٨ ـ ٦٦٠هـ) والمؤرخ ابن شداد (٦١٣ ـ ٦٨٤هـ)، فى كتابه (الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة) وقسم الكتاب تبعا لنظام الأجناد الخمسة المعمول بها منذ الفتح الإسلامى ومنها جند فلسطين، وهى الرملة واللد وإيلياء (بيت المقدس) وبنائه ولمعة من فضائله وفضل الصخرة الشريفة وخراب بيت المقدس وفتحه وملوكه وحروبه، وهذا بالإضافة إلى المعلومات عن الحروب الصليبية مما جعل من الكتاب المذكور مصدرا تاريخيا قيما.

كذلك أفاد من الهروى إمام الجغرافيين ياقوت الحموى (٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ) صاحب (معجم البلدان) الذي زار فلسطين مرتين وقال فى تعريفها (إنها آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبتها بيت المقدس، ومن مشهور مدنها عسقلان والرملة وغزة وأرسوف وقيسارية ونابلس وأريحا وعمان ويافا وبيت جبرين). ويفسر الحموي الأعلام الجغرافية ويبين نطقها الصحيح ويورد الروايات والاشتقاقات المختلفة بشأنها مع بيان طول المكان وعرض وتحديد البرج الذي يقع تحته، فهو بحق جماع للجغرافية فى صورها الفلكية والوصفية واللغوية وللرحلات والجغرافية التاريخية، ولم يقتصر الحموي على وصف بلدان جزيرة العرب، بل تعداها إلى جميع البلدان التى عرفها العرب أو سمعوا بها من حدود الصين إلى إسبانيا.

**٤ ـ أسامة بن منقذ:**

كان أسامة بن منقذ أميرا فارسا من أهل الشرق العربى، وقد تنقل فى مصر وسورية وبغداد فى عداد الرحالين، لأن كتاب الاعتبار نسيج وحده فى الأدب العربى، ومذكرات صاحبه تشمل صفحات مجيدة فى تاريخ الفروسية والقومية العربية، تجعلها فى مقدمة ما يجب أن نعنى بدرسه من كتب السلف الصالح، هذا فضلا عن زيارة للقدس.

ولد أسامة بقلعة شيزر فى ٢٧ جمادى الأولى ٤٨٨/٤ تموز (يوليو) ١٠٩٥.

وكانت شيزر، الواقعة على بعد أربعة وعشرين كيلو مترا إلى الشمال من حماة، حصن بني منقذ منذ أن انتزعوها من الصليبيين سنة ١٠٨١/٤٧٤، مع انهم كانوا يملكون إقطاعا فى أرضها قبل ذلك بمدة طويلة، وكان من حق مرشد، والد أسامة أن يتولى الإمارة، لكنه شغف بنسخ القرآن والصيد فتنازل عنها لأخيه، واتجهت همة الأمير سلطان إلى أسامة يهيؤه ليخلفه.. لكن لما رزق ولدا ذكرا فترت همته نحو أسامة، فرأى هذا أن يغادر شيزر، فتغيب بادئ ذي بدء عنها مؤقتا، لكنه لم يلبث أن غادرها نهائيا، وبعد عشرين سنة أصاب القلعة زلزال سنة ١١٥٧/٥٥٢ قضى على آل منقذ بأسرهم إذ كانوا مجتمعين فى حفل عائلى، عدا أسامة الذي كان غائبا.

بناء للتقليد الدارج في التنكر، صوّر يوهانس زوجته نجلا في مناسبات عدة، مرتدية أزياء مختلفة.
في الصورة:
نجلة كريكوريان
القدس 1921
المصور: يوهانس كريكوريان
مجموعة عايدة قعوار كريكوريان / المؤسسة العربية للصورة



عاش أسامة فارسا شهما وجاب أنحاء الشرق العربى.. صرف معظم شبابه فى البلاط النوري بدمشق وفى قصر الخليفة الفاطمى بالقاهرة (١١٤٤ ـ ١١٥٤).. وأما كهولته فصرفها عند أتابكة الموصل وفى حصن كيفا). زار بيت المقدس وحج وتنقل بين معظم العواصم الإسلامية وتعرف إلى كبار الأفرنج، فضلا عن صداقته للخلفاء والملوك، وقبيل وفاته دعاه صلاح الدين إلى دمشق، وأجرى عليه رزقا وأعاد إليه اقطاعه... وأخذ الشيخ يلقى محاضرات فى البديع ويدرس فى المدرسة الحنفية بدمشق، وقد أملى مذكراته فى هذه الفترة، وتوفى أسامة سنة ٥٨٤/١١٨٨

وكتاب الاعتبار، بالإضافة إلى ما فيه من عبر رمى إليها الكاتب، يحوي إشارات كثيرة إلى أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية، والفصل الذي عرض فيه أسامة للأفرنج، حافل بوقائع حياتهم وسلوكياتهم.

في الصورة:
نجلة كريكوريان
القدس 1921
المصور: يوهانس كريكوريان
مجموعة عايدة قعوار كريكوريان / المؤسسة العربية للصورة



في الصورة:
نجلة كريكوريان
القدس 1941
المصور: يوهانس كريكوريان
مجموعة عايدة قعوار كريكوريان / المؤسسة العربية للصورة



## (٣) ابن بطوطة

لقد طبع ابن بطوطة الرحلة فى القرن الرابع عشر الميلادي (الثامن الهجري) بشخصيته القوية النابضة بالحياة المتطلعة إلى كل ما حوله بشوق دائم.. ويمتاز هذا الرحالة بأمور كثيرة قلما اجتمعت لرحالة واحد من معاصريه، فقد قضى ثمانية وعشرين عاما يذرع شرق الأرض وغربها، بدأ الرحلة من طنجة وسار إلى مصر بطريق شمال أفريقية، ثم زار ديار الشام، وحج وتنقل فى فارس وبلاد العرب، ووصل إلى شرق أفريقية، ثم زار القرم وحوض الفولغا الأدنى ودخل القسطنطينية فاحتفى به ملكها قسطنطين الرابع (١٣٤٤ ـ ١٣٦٣). واتجه بعدها شرقا إلى خوارزم وبخارى وتركستان وأفغانستان والهند، وخدم ملك دلهى ثمانى سنوات، وتعرف إلى جزر الملديف وبعض جزر الهند الشرقية والصين، وعاد إلى طنجة، وبعد هذه الرحلة الطويلة (٧٢٥ ـ ٧٥٠/١٣٢٥ ـ١٣٤٩) قام برحلتين قصيرتين نسبيا، الأولى فى الأندلس فى حدود سنة ١٣٥٠/٧٥١ والثانية إلى السودان العربى، ودامت نحو سنتين، بدأها سنة ١٣٥٢/٧٥٢، وفى هذه الرحلة وصل إلى تمبكتو، وأبحر فى نهر النيجر وعاد إلى فارس بطريق الصحراء الكبرى، وقد قدرت المسافة التى قطعها ابن بطوطة فى أسفاره بنحو ١٢٠.٠٠٠ كيلو متراً، وقد جرب ألا يقطع طريقا مرتين، ونجح فى ذلك إلا فيما ندر، ولا يعرف تاريخ الرحلات من اجتاز مثل هذه المسافة قبل العصور الحديثة، ويبدو لنا أن ابن بطوطة رحالة محترف.

وابن بطوطة كان فقيها عالما، جرى على تقليد أسرته التى عرفت باشتغالها بالعلوم الشرعية، وقد عرف الحاج له فضله فقدموه قاضيا عليهم، وهم بعد فى تونس فى طريقهم إلى مصر.. وقد ولى القضاء فى جزائر ملديف أيضا.

وابن بطوطة لم يكن جغرافيا.. فهو لم يهتم بالأقطار إلا قليلا، وحتى المدن إنما وصفها باعتبار ما يقطنها من الناس، فقد كان الناس موضع اهتمام الرحالة، ولذلك فهو يفيدنا فى التاريخ والاجتماع أكثر مما يفيدنا فى الجغرافية.

والقرن الذي عاش فيه ابن بطوطة وارتحل وتنقل كان بالنسبة إلى المغرب العربى قرن اضطراب وحروب وفتن، وبالنسبة إلى الأندلس كان عصر تدهور للسيادة العربية وانحلال للسلطان السياسى، أما بالنسبة إلى الشرق العربى، فقد كانت الحالة على غير هذا.. فقد وفق المماليك إلى إقصاء الصليبيين عن ديار الشام، وإرساء قواعد حكم قوى، وإن لم يكن دائما صالحا فى مصر والشام والحجاز، وكانت الغزوات المغولية قد قوضت أركان الخلافة العباسية، لكن هؤلاء المغول كانوا قد وسعوا رقعة الإسلام كثيرا، وركزوا أسسه فى أجزاء واسعة، ومن ثم فقد كان الإسلام فى المشرق فى فترة من فترات قوته من حيث السياسة والسلطات.

وهذا ابن بطوطة ينتقل ويرحل ويحل ويعلم ويعظ ويحدث ويتولى القضاء ويسفر ويتزوج ويطلق حيث حط رحاله، دون أن يتقيد بحدود سياسية لدولة دون أخرى، هكذا وعى نفسه، وهكذا أدركه الناس وقبلوه لا بعد أن فكروا فيه كفرد، ولكن على اعتبار أن هذا هو الواقع المقبول.

إلا أنه جرى بنا أن نشير هنا إلى أن ابن بطوطة عاش فى عصر، كانت حضارة الغرب والإسلام قد بدأت بالوقوف عن التقدم نتيجة لعوامل كثيرة، لعل أهمها التجميد الرسمى الذي فرضته الدولة على العقل ونشاطه، فحصرت الجهد الفكري فيما من شأنه أن يقوى كيانها ـ مؤيدا بالدين ـ ويظهر زيغ خصومها، وهكذا فالحضارة العربية تبدو فى صفحات ابن بطوطة قليلة الحركة والنشاط والتوثب، وتطلع علينا وكأنها لا دينامية لها.

ولد ابن بطوطة فى طنجة فى ١٤ رجب سنة ٧٠٣/٢٤ شباط (فبراير) ١٣٠٤، ولما بدأ رحلته إلى المشرق فى رجب ٧٣٥/١٣٢٥ كان قد تفقه فى علوم عصره الشرعية، متأثرا فى ذلك بأسرته وبلده، ومن السهل أن يتابع القارئ تنقل ابن بطوطة فى المغرب وفى مصر.. فقد مر بالجزائر وتونس وليبيا وأعرس قبل أن يصل مصر، وكانت الإسكندرية أول مدينة مصرية نزلها، ثم انتقل منها إلى القاهرة معرجا على مدن كثيرة فى الدلتا ليست على الطريق العادي ـ طريق الحاج أو التاجر، ومن القاهرة رافق الحاج الإفريقى إلى عيذاب ليجتاز البحر الأحمر إلى الحجاز.. لكن الحدربى سلطان البجاة كان يومها فى حرب، وقد خرق المراكب، فلم يتيسر اجتياز البحر الأحمر، فعاد ابن بطوطة إلى القاهرة واجتاز إلى الشام بطريق سيناء، فنزل فى غزة «وهى أول بلاد الشام مما يلى مصر»، ومنها إلى الخليل فالقدس..

وتوفى ابن بطوطة فى ٧٧٠/١٣٦٨ أو ١٣٦٩ بعد أن أملى رحلته، على ما مر بنا (فرغ من كتابتها سنة ٧٥٧/ ١٣٥٦، وهكذا فإنه بسبب اهتمام السلطان أبى عنان بأخبار الرحالة، أصدر أمره بتدوينها وأن تملى على كاتبه ابن جزى، وبذلك حصلنا على هذه اليوميات الإنسانية والصور الفريدة للمجتمع الإسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها فى الربع الثانى للقرن الرابع عشر (الثامن).

وفيما يلى النص الكامل لما جاء فى رحلة ابن بطوطة بشأن القدس:

## نص رحلة ابن بطوطة

### ذكر المسجد المقدس

وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن، يقال إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه، وأن طوله من شرق إلى غرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا، وله أبواب كثيرة فى جهاته الثلاث، وأما الجهة القبلية منه فلا أعلم بها إلا بابا واحدا وهو الذي يدخل منه الإمام، والمسجد كله فضاء وغيره مسقف إلا المسجد الأقصى فهو مسقف فى النهاية من إحكام الفعل وإتقان الصنعة، مموه بالذهب والأصبغة الرائقة، وفى المسجد مواضع سواه مسقفة.

### ذكر قبة الصخرة

وهى من أعجب المبانى وأتقنها وأغربها شكلا قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف وهى قائمة على نشر فى وسط المسجد يصعد إليها فى درج رخام ولها أربعة أبواب والدائر بها مفروش بالرخام أيضا محكم الصنعة وكذلك داخلها. وفى ظاهرها وباطنها من أنواع الذواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف وأكثر ذلك مغشى بالذهب فهى تتلألأ أنوارا أو تلمع لمعان البرق يحار بصر متأملها فى محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها. وفى وسط القبة الصخرية الكريمة التى جاء ذكرها فى الآثار، فإن النبى صلى الله عليه وسلم عرج منها إلى السماء وهى صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة وتحتها مغارة مقدار بيت صغير. ارتفاعها نحو قامة أيضا ينزل إليها على درج وهنالك شكل محراب وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها أحدهما وهو الذي يلى الصخرة من حديد بديع الصنعة والثانى من خشب وفى القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك والناس يزعمون أنها درقة حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه.

### ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف

فمنها بعدوة الوادي المعروف بوادي جهنم فى شرقى البلد على تل مرتفع. هنالك بنية يقال إنها مصعد عيسى عليه السلام إلى السماء، ومنها أيضا قبر رابعة البدوية منسوبة إلى البادية وهى خلاف رابعة العدوية الشهيرة، وفى بطن الوادي المذكورة كنيسة يعظمها النصارى ويقولون إن قبر مريم عليها السلام بها، وهنالك أيضا كنيسة أخرى معظمة يحجها النصارى وهى التى يكذبون عليها ويعتقدون أن قبر عيسى عليه السلام بها، وعلى كل من يحجها ضريبة معلومة للمسلمين وضروب من الإهانة يتحملها على رغم أنفه، وهنالك موضع مهد عيسى عليه السلام يتبرك به.

### ذكر بعض فضلاء القدس

فمنهم قاضيه العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزي (بفتح الغين) وهو من أهل غزة وكبرائها، ومنهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسى، ومنهم المحدث المفتى شهاب الدين الطبري، ومنهم مدرس المالكية وشيخ الخانقاة الكريمة أبو عبد الله محمدين مثبت الغرناطى نزيل القدس، ومنهم الشيخ الزاهد أبو على حسن المعروف بالمحجوب من كبار الصالحين، ومنهم الشيخ الصالح العابد كمال الدين المراغى، ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبدالرحيم عبدالرحمن ابن مصطفى من أهل أرز الروم وهو من تلامذة تاج الدين الرفاعى صحبته ولبست منه خرقة التصوف ثم سافرت من القدس الشريف برسم زيارة ثغر عسقلان وهو خراب قد عاد رسوما طامسة وأطلالا دارسة، وقل بلد جمع من المحاسن ما جمعته عسقلان اتقانا وحسن وضع وأصالة مكان وجمعا بين مرافق البر والبحر وبها المشهد الشهير، حيث كان رأس الحسين بن على عليه عليه السلام قبل أن ينقل إلى القاهرة وهو مسجد عظيم سامى العلو فيه جب للماء أمر ببنائه بعض العبيد وكتب ذلك على بابه، وفى قبلة هذا المزار مسجد كبير يعرف بمسجد عمر لم يبق منه إلا حيطانه وفيه أساطين رخام لا مثل لها فى الحسن، وهى ما بين قائم وحصيد ومن جملتها أسطوانة حمراء عجيبة يزعم الناس أن النصارى احتملوها إلى بلادهم ثم فقدوها فوجدت فى موضعها بعسقلان. وفى القبلة من هذا المسجد بئر تعرف ببئر إبراهيم عليه السلام ينزل إليها فى درج متسعة ويدخل منها إلى بيوت، وفى كل ناحية من جهاتها الأربع تخرج من أسراب مطوية بالحجارة وماؤها عذب وليس بالغزير، ويذكر الناس من فضائلها كثيرا أو بظاهر عسقلان وادي النمل ويقال أنه المذكور فى الكتاب العزيز. وبجبانة عسقلان من قبور الشهداء والأولياء مالا يحصر لكثرته أوقفنا عليهم قيم المزار المذكور وله جراية يجريها له ملك مصر مع ما يصل إليه من صدقات الزوار، ثم سافرت منها إلى مدينة الرملة وهى فلسطين مدينة كبيرة كثيرة الخيرات حسنة الأسواق وبها الجامع الأبيض ويقال إن فى قبلته ثلاثمائة من الأنبياء مدفونين عليهم السلام، وفيها من كبار الفقهاء مجد الدين النابلسى ثم خرجت منها إلى مدينة نابلس وهى مدينة عظيمة كثيرة الأشجار مطردة الأنهار من

أكثر بلاد الشام زيتونا ومنها يحمل الزيت إلى مصر ودمشق وبها تصنع حلواء الخروب وتجلب إلى دمشق وغيرها (وكيفية عملها) أن يطبخ الخروب ثم يعصر ويؤخذ ما يخرج منه من الرب فتصنع منه الحلواء ويجلب ذلك الرب أيضا إلى مصر والشام. وبها البطيخ المنسوب إليها وهو طيب عجيب. والمسجد الجامع فى نهاية من الإتقان والحسن وفى وسطه بركة ماء عذب، ثم سافرت منها إلى مدينة عجلوان (وهى بفتح العين المهملة) وهى مدينة حسنة لها أسواق كثيرة وقلعة خطيرة ويشقها نهر ماؤه عذب، ثم سافرت منها بقصد اللاذقية فمررت بالغور وهو واد بين تلال به قبر أبى عبيدة الجراح أمين هذه الأرض رضى الله عنه زرناه وعليه زاوية فيها الطعام لأبناء السبيل ـ وبتنا هنالك ليلة ـ ثم وصلنا إلى القصير وبه قبر معاذ بن جبل رضى الله عنه تبركت أيضا بزيارته، ثم سافرت على الساحل فوصلت إلى مدينة عكة وهى خراب وكانت عكة قاعدة بلاد الأفرنج بالشام ومرسى سفنهم وتشبه قسطنطينية العظمى وبشرقيها عين ماء تعرف بعين البقر يقال إن الله تعالى أخرج منها البقر لآدم عليه السلام، وينزل إليها فى درج وكان عليها مسجد بقى منه محرابه وبهذه المدينة قبر صالح عليه السلام، ثم سافرت منها إلى مدينة صور وهى خراب وبخارجها قرية معمورة وأكثر أهلها أرفاض. ولقد نزلت بها مرة على بعض المياه أريد الوضوء فأتى بعض أهل تلك القرية ليتوضأ فبدأ بغسل رجليه ثم غسل وجهه ولم يتمضمض ولم يستنشق ثم مسح بعض رأسه فأخذت عليه فى فعله فقال لى إن البناء إنما يكون ابتداؤه من الأساس. مدينة صور هى التى يضرب بها المثل فى الحصانة والمنعة لأن البحر محيط بها من ثلاث جهاتها ولها بابان أحدهما للبر والثانى للبحر، ولبابها الذي يشرع للبر أربعة فصلات كلها فى ستائر محيطة بالباب وأما الباب الذي للبحر فهو بين برجين عظيمين، وبناؤها ليس فى بلاد الدنيا أعجب ولا أغرب شأنا منه لأن البحر محيط بها من ثلاث جهاتها. وعلى الجهة الرابعة سور تدخل السفن تحت السور وترسو هنالك، وكان فيما تقدم بين البرجين سلسلة حديد معترضة لا سبيل إلى الداخل هنالك ولا إلى الخارج إلا بعد حطها وكان عليها الحراس والأمناء فلا يدخل داخل ولا يخرج خارج إلا على علم منهم. وكان لعكة أيضا ميناء مثلها ولكنها لم تكن تحمل إلا السفن الصغار، ثم سافرت منها إلى مدينة صيدا وهى على ساحل البحر حسنة كثيرة الفواكه يحمل منها التين والزبيب والزيت إلى بلاد مصر.

نزلت عند قاضيها كمال الدين الأشمونى المصري وهو حسن الأخلاق كريم النفس، ثم سافرت منها إلى مدينة طبرية وكانت فيما مضى مدينة كبيرة ضخمة ولم يبق منها إلا رسوم تنبئ عن ضخامتها وعظم شأنها وبها الحمامات العجيبة لها بيتان أحدهما للرجال والثانى للنساء وماؤها شديد الحرارة. ولها البحيرة الشهيرة طولها نحو ستة فراسخ وعرضها أزيد من ثلاثة فراسخ. وبطبرية مسجد يعرف بمسجد الأنبياء فيه قبر شعيب عليه السلام وبنته زوج موسى الكليم عليه السلام وقبر سليمان عليه السلام وقبر يهودا وقبر روبيل صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم، وقصدنا منها زيارة الجب الذي ألقى فيه يوسف عليه السلام، وهو فى صحن مسجد صغير وعليه زاوية، والجب كبير عميق شربنا من مائه المجتمع من ماء المطر وأخبرنا قيمه أن الماء ينبع منه أيضا، ثم سرنا إلى مدينة بيروت وهى صغيرة حسنة الأسواق وجامعها بديع الحسن ويجلب منها إلى ديار مصر الفواكه، وقصدنا منها زيارة أبى يعقوب يوسف الذي يزعمون أنه من ملوك الغرب وهو بموضع يعرف بكرك نوح من بقاع العزيز وعليه زاوية يطعم بها الوارد ويقال إن السلطان صلاح الدين وقف عليها الأوقاف، وقيل السلطان نور الدين وكانوا من الصالحين، ويذكر أنه كان ينسج الحصر ويقتات بثمنها.

متري حنا، نقولا حوّا و ايريس وردة يرتدون أزياء القدس التقليدية.
القدس 1923
المصور: خليل رعد
مجموعة أسترا أبو جمرة / المؤسسة العربية للصورة



## (٤) رحلات العلويين الحضارم إلى القدس

عزم ثلاثة من علماء السادة العلويين الحضارم على زيارة القدس ومشاهدة تأثرها الدينية عام ١٣٤٣ هجرية وهم:

١ ـ السيد شيخ بن محمد الحبشي: ولد فى مدينة تريم فى حضرموت عام ١٢٦٥ هـ وتوفى بمدينة سيوان فى ٢٤ جمادى الأخرة ١٣٤٨ هـ وهو رائد فن الرحلة المطولة الحضرمية، ولم يسبقه أحد من قبل فى التدوين، وقد رحل إلى إندونيسيا سنة ١٢٩٢ هـ ثم عاد إلى حضرموت سنة ١٣١٠ هـ.

وتلقى العلوم عن كثير من شيوخ عصره فى حضرموت والحجاز، وله بعض الإنتاج الأدبى فى قصائد شعرية وتقريض نثري على كتاب عقد اليواقيت الجوهرية.

٢ ـ السيد محمد بن هادي السقاف ولد فى حضرموت سنة ١٢٩١ هـ وتوفى بها سنة ١٣٨٢ هـ. وتتلمذ على أيدي كثير من شيوخ عصره ففاق أقرانه، وقد أجازه شيوخه بالتدريس والإفتاء وتخرج على يديه عدد كبير من الطلبة، وله عدة مؤلفات فى الوعظ والإرشاد والفقه والنحو.

٣ ـ السيد عبدالرحمن بن جنيد الجنيد المولود فى سنغافورة سنة ١٢٩١هـ / ١٨٧٤ وتوفى بها سنة ١٣٦٩ م. ونشأ فى بيت علم وصلاح، وقد أرسله والده إلى حضرموت سنة ١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٧ م لتلقى العلم عن الشيوخ الكثير فيها، وبعد أن غرف من مناهلها عاد إلى مسقط رأسه سنغافورة، إلا أنه عاد إلى حضرموت للاستزادة من شيوخه وذلك سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، وفى مدينة تريم زاول مهنة التجارة والزراعة مع تلقى العلم ولكنه عاد إلى سنغافورة وأسس مدرسة سنة ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧ م وأطلق عليها اسم «مدرسة الجنيد الإسلامية».

ثم عاد مرة ثالثة إلى حضرموت للتفرغ لمشاهدة المآثر الإسلامية فى حضرموت وبعض البلدان الأخرى ومنها القدس الشريف.

وقدم د. عبدالله حامد الحييد الأستاذ المشارك بقسم التاريخ جامعة أم القرى دراسة جديدة يغطى فيها هذه الرحلة، ويسجل أبرز مشاهدات الرحالة الثلاثة فى القدس الذي نشرته كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٩٨. ثم توجه من بيروت إلى يافا .

### مشاهدات الرحالة الثانى السيد محمد بن هادي السقاف وعنوان رحلته: الرياض الوردية فى الرحلة المصرية والقدسية:

بدأ الرحالة انطلاقته من مدينة سيون فى حضرموت يوم الثلاثاء ٢٨ ربيع الثانى سنة ١٣٤٣هـ إلى مصر ومنها إلى القدس فى ٧ ربيع الأول ١٣٤٧.

ويبدأ د. عبد الله حامد بذكر ما كتبه الرحالة شيخ بن محمد الحبشى فى رحلته الشاهد المقبول، فبعد مكوثه فى بيروت أياما، سافر إلى القدس يوم ٢ جمادى الأخرة سنة ١٣٢٨ هـ مارا بيافا، ولم تصادفه عقبات لأنه فى هذه الفترة لم تكن فلسطين بعد فى أيدي الظلمة اليهود، فوصلها بعد ست ساعات بصحبة المزور الشيخ عبد الله الأنصاري، وقد نزلوا فى فندق الأنصاري فكان إيجار الغرفة مجيدي ونصف، وبعد أخذ قسط من الراحة توجهوا إلى المسجد الأقصى لزيارة ما به من مأثر فأول المشاهد التى زاروها هى الصخرة، فدخلوا تحتها حيث موضع قدم النبى صلى الله عليه وسلم، وهى كانت مرتفعة، كما يوجد إلى جانب الدرج عمود رخام متصلا بالصخرة، وقد شاهدوا محراب سيدنا داود ومحراب سيدنا سليمان، وبعد ذلك اتجهوا إلى داخل المسجد الأقصى الذي وصفه الرحالة بالحسن والجمال ووجد على منبره كتابة تقول «فرغ من صلاحه سنة ٥٥٤ هـ ، عمارة الملك نور الدين» ثم شاهدوا مكانا يقال له كرسى سيدنا سليمان، ثم إلى مكان أخر نزلوا فى درج تحت المسجد الأعلى فشاهدوا فى أسفله مسجد أخر فتجول الرحالة إلى أن وصلوا عند مهد من حجر منحوت فقيل له أنه مهد سيدنا عيسى عليه السلام فى حالة تربيته. وبعد الخروج اتجهوا إلى البيعة التى فيها ضريح السيدة مريم والنزول إليه مقدار دورين، وهنا توجد الإضاءة بكثرة، كما فيها القسوس ـ القساوسة ـ قائمون نحو السيدة مريم، ثم أن هنا نسوة كن ساجدات نحو الراهب الكبير. ثم سمح لهم بدخول الضريح، حيث صورتها وصورة سيدنا عيسى توجدان فوق القبر.

وبعد خروجهم مروا بساحة فيها حديقتان توسطهما منزلا مكتوب على بابه باللغة العربية وبخط واضح «بسم الله الرحمن الرحيم، هذه المدرسة المباركة وقفها مولانا صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي على الفقهاء من أصحاب الإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس سنة ٥٨٨ هـ». وهذه المدرسة حولت إلى كنيسة للفرانصيص ـ الفرنسيين ـ حسب تعبيره، وبعد الدخول وجدوا ألواحا معلقة ومكتوب فيها باللغة العربية أحاديث رواها الشيخان، ثم اتجهوا إلى كنيسة القمامة كما يقول الرحالة، وهنا التصحيف واضحا، فهى كنيسة القيامة فوجدوا فى داخلها مشاهد تقشعر منها الجلود ـ حسب تعبيره – لأنها تخالف العقيدة الإسلامية، وقد استغرب الرحالة من كون بواب الكنيسة مسلم فقال الأخير للرحالة ومن معه: «انظروا إلى قلة عقولهم» فأجاب الرحالة «كيف ترضى بالجلوس فى هذا الموضع» فقال: «أقامنى الله فى ذلك».

وبعد مشاهدة مأثر القدس اتجهوا إلى مدينة الخليل فى سيارة أجرتها خمسة مجيدي وتناولوا الغداء فى ساحة معدة للزوار، ومنها إلى المسجد الكبير الذي يضم ضريح سيدنا إبراهيم الخليل وسيدنا إسحاق وسيدنا يعقوب، وسيدتنا سارة وغيرهم من الأبناء ثم دخلوا إلى مكان كهيأة التابوت، فقيل لهم أن فى هذه البئر أرواح سبعين من الأنبياء.

ثم اتجهوا إلى بيت لحم، وكانت قرية عظيمة، وفيها أبنية عظيمة وسكانها نصارى وقد شاهدوا موضع ميلاد السيد المسيح، وهو محل مظلم لكن فيه كثير من المصابيح والشموع، كما شاهدوا موضع النخلة، وهو تحت الأرض وهنا يوجد مكان تعليم القسوس.

وقد عاد الرحالة ومن معه إلى القدس، وفى اليوم الثانى غادروها إلى يافا.

٢ ـ وبعد الانتهاء مما شاهده الرحالة الأول فى القدس وما حولها، بدأ دكتور حامد عبدالله الحييد فى عرض مشاهدات الرحالة الثانى السيد محمد بن هادي السقاف فى رحلته وقد استقل الرحالة ومن معه القطار من القاهرة إلى بيت المقدس، ونزلوا فى زاوية نبى الله داود للسكنى فيها والاستراحة، ثم بدأوا زيارتهم بالصخرة فوجدوا محاريب سيدنا داود وسيدنا سليمان ورأوا ثقبا وسط الصخرة، وهو الذي يقال أن المعراج كان منه، ثم وقفوا عند المحراب الذي صلى النبى عليه الصلاة والسلام، بالأنبياء منه ليلة الإسراء والمعراج، كما شاهدوا المحل الذي غاصت فيه أقدام النبى، كما شاهدوا قدم النبى وبعض شعراته فى حجر منفصل عن الصخرة، وبعد ذلك اتجهوا إلى محكمة داود ثم كرسيه، ثم إلى الكنيسة التى دفنت فيها سيدتنا مريم، وهى تحت الأرض ينزلها الزائر سبع عشرة درجة، ثم زاروا السيد محمد العلمى الحسينى، وينزل الزائر أيضا عشرين درجة تحت الأرض، كما يوجد مسجده هنا.

وبعد الانتهاء من مشاهدة مآثر القدس اتجه الرحالة ومن معه إلى مدينة الخليل للزيارة ووصلوها بعد ساعة إلا ربع بالسيارة فزاروا المشاهد هنا: وهم سيدنا إبراهيم وزوجته سارة ونبى الله إسحاق وزوجته رفقة، والنبى يعقوب وزوجته لايقة، ثم نبى الله يوسف، ثم خرجوا من المسجد لزيارة سيدنا إلياس، ثم السيدة راحيل أم سيدنا يوسف، ثم اتجهوا إلى نبى الله موسى ويبعد مكانه عن القدس مسافة ساعة بالسيارة.

وقد مروا على إبراهيم بن أدهم، والنبى عزير، ثم وصلوا إلى القدس وعادوا إلى الزاوية حيث زارهم فيها العلامة السيد محمد بن عبدالرازق الدجانى الحنفى، وذلك للترحيب بهم وضيافتهم، ومن عجيب الصدف أن صاحب الرحلة السيد محمد بن هادي السقاف ومضيفه السيد محمد الدانى يلتقيان فى عمود النسب النبوي فى على زين العابدين، فالأول على محمد الباقر، والثانى على أخيه زيد، وقد أخبرهم الدجانى أن جدهم السيد أحمد قدم إلى القدس سنة ٩٢٥ هـ وعدد ذريته الآن خمسمائة.

ويوم الجمعة شاهدوا مكان المائدة التى نزلت على سيدنا عيسى ثم المقبرة التى تسمى مامُن الله، وبعد الصلاة اتجهوا إلى طور الزيتون الذي يقال أن سبعين نبيا مقبور فيه، وكذلك سلمان الفارسى، ورابعة العدوية، كما زاروا مسجد سيدنا سليمان الذي يضم أعمدة كثيرة وبه محراب السيدة مريم، ومحراب سيدنا عيسى والحواريين، وعند بابه يقع مهد سيدنا عيسى وجامع سيدنا داود.

وفى أثناء إقامتهم فى القدس لم يفتهم زيارة بعض الزعماء الفلسطينيين الذين منهم السيد الشريف الحاج أمين الحسينى مفتى الحرم القدسى.

ومن الزعماء الذين زارهم الرحالة ومن معه العلامة محمد عارف الدجانى، وكانت جلسة طويلة تبودلت فيها شتى الأحاديث ومنها السياسة وأحوال العالم التى سأل عنها السيد الدجانى صاحب الرحلة السيد السقاف فرد الأخير عليه قائلاً: ما عندنا تحقيق فى ذلك، فقال له: «كيف والجرايد تخبر عن الأحوال فقال: ما لنا إطلاع على الجرائد لعدم وصولها إلينا، فقال: لكنكم لا بد أنكم تسمعون الأخبار من الغير، فرد صاحب الرحلة قائلا: نحن نقول اللهم أصلح من فى صلاحه صلاح المسلمين، وأهلك من فى هلاكه صلاح المسلمين، ونسأله أن يعز الإسلام على يد من أراد من العباد المؤمنين، وكان هذا الاجتماع يوم الجمعة وبانتهائه انتهت زيارة الرحالة ومن معه، ثم يوم السبت الموافق ٢٩ جمادى الآخرة غادروا القدس إلى مصر مرة ثانية».

وينهى د. عبدالله حامد الحييد مشاهدات الرحالة الثلاثة فى القدس وما حولها بما كتبه عبدالرحمن بن جنيد فى رحلته والتى عنوانها: «هدى الخلف إلى مآثر السلف»، فالرحالة غادر القاهرة ومن معه إلى القدس يوم ٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٧ هـ.

وأول ما بدأوه بالزيارة في القدس هو مقام السيد محمد العلمى من ذرية الحسن بن على، وزوجته رابعة العدوية، والنزول إلى القبر إحدى وعشرين درجة ثم زار مكان عصى موسى وهناك حجرة سوداء علامة لمقامه، ثم محل عروج سيدنا عيسى، ثم مقام سليمان القاري والشهداء، وكلهم فى جبل الزيتون، ثم إبراهيم بن أدهم، ثم معبد سيدنا إبراهيم، وبعده سيدنا عكاشة ثم سيدنا قيمه وأولاده فى طريق يافا، ثم مسجد سيدنا داود حيث أدوا صلاة المغرب فيه.

وفى اليوم التالى، وهو الجمعة زاروا باب حطه فولجوا فيه، ثم قبة سيدنا سليمان بن داود وبعض المآثر الأخرى، ثم اتجهوا إلى قبة الصخرة، فشاهدوا فيها محاريب سيدنا داود وسليمان، وإبراهيم الخليل

والخضر، ومحل رأس النبى صلى الله عليه وسلم، ثم شاهدوا مكان عروجه إلى السماء وهو خرق فى ذات الصخرة، ثم شاهدوا بير الأرواح، كما شاهدوا القفص الذي فيه قدم النبى صلى الله عليه وسلم، وعلى يساره محراب سيدنا حمزة بن عبد المطلب، ثم اتجهوا إلى المكان الذي أم النبى صلى الله عليه وسلم، الأنبياء ليلة المعراج، ثم محراب سيدنا إدريس، ثم باب الجنة، ثم شاهدوا محكمة داود، ثم إلى الميزان، وهو عبارة عن عكوف والتى كان قريبا منها منبر كان يخطب عليه السلطان صلاح الدين الأيوبى، ثم نزلوا فى درج إلى عند شجرة الزيتون، وقريبا منها حوض كبير، وعليه بزابيز للوضوء، وفى وسط الحوض بركة يأتيها الماء فى مواصير من بركة سليمان، والتى تبعد مسافة ساعة ونصف بمشى الرجل، ثم مشوا إلى المسجد الأقصى وهو بجهة القبلة، ثم زاروا محل صلاة سيدنا يحيى، ثم محلا يقال له رجال الأربعين، ولعل ذلك قبورهم، ثم زاروا جامع سيدنا عمر بن الخطاب، وبعد الخروج منه وجدوا منبرا من خشب الأبنوس، والذي صنعه حميد بن ظافر الحلبى، وقد مضى عليه نحوا من ثمانمائة سنة، وذلك فى عصر السلطان صلاح الدين الأيوبى، وهناك توجد بئر الورقة، وقد شاهد الرحالة فى هذا الوقت ترميم المسجد الأقصى فوجده فى غاية الاتقان والزخرفة، ثم زاروا عدة محاريب هنا. وبعد ذلك اتجهوا إلى باب التوبة وباب الرحمة، وهما البابان اللذان دخل منهما سيدنا عمر بن الخطاب عند استلامه مدينة القدس، وزاروا كرسى سليمان، حيث كان يدير حكمه من هنا، ثم خرجوا من باب الأسباط أحد أبواب الحرم المقدسى العشرة.

ومن برنامجهم بعد عصر يوم الجمعة كان زيارة كنيسة القيامة، فشاهدوا المكان الذي يقال أنهم غسلوا السيد المسيح فيه، ثم دخلوا محل خروج النور فى زمن سيدنا موسى ويسمونه شم النسيم، وبعد ذلك طلعوا إلى أعلى الكنيسة، ثم نزلوا ثلاثين درجة لمشاهدة قبر السيدة مريم، ثم بعد الانتهاء استأجروا سيارة لتطوف بهم حول المدينة القديمة والجديدة، وقد استمروا فى ذلك إلى غروب الشمس.

ثم فى صباح يوم ١٠ ربيع الأول خرجوا فى سيارة إلى قبر السيدة راحيل والدة سيدنا يوسف، ثم اتجهوا لمشاهدة برك سليمان، وكانت إحداها طبيعية والاثنتين الأخرى مبنية، ومن هنا إلى مكان سيدنا يونس، ثم إلى مدينة الخليل، فدخلوا الحرم الإبراهيمى فوقفوا أمام حجرة سيدنا إبراهيم الخليل للزيارة، ثم زوجته سارة، ثم سيدنا إسحاق وزوجته رفقه، ثم سيدنا يعقوب، ثم سيدنا يوسف وزوجته، وبعدهم لايقة زوجة سيدنا يعقوب أخت سيدتنا راحيل، وقد أنهوا زيارتهم بالغار المسمى تربة الأنبياء، وبعد ما شاهدوا كل المآثر فى مدينة الخليل، اتجهوا إلى بيت لحم حيث دخلوا كنيستها، وهى محل ولادة سيدنا عيسى عليه السلام، والنزول إليه اثنتى عشرة درجة.

وبعد الانتهاء من زيارة المآثر السابقة، اتجهوا إلى الأسواق لمشاهدتها، ثم العودة إلى القدس، حيث جوها كان أبرد مما هو عليه فى مصر، كما يقول الرحالة، وعلل ذلك بأن المنطقة الواقعة فيها القدس جبلية، كما ذكر أن لليهود هنا حارة بدأوا فى عمارتها حديثا، ولكن أغلب المنطقة لا زالت فضاء، والطقس هنا جميل جدا، وارتفاع أغلب المنازل هنا دورا واحدا، ولكن أحيانا تصل إلى أربعة أدوار.

ثم يصف البلدة القديمة بأن شوارعها ضيقة جدا، ومرصعة بالحجارة ومن ضيق الشوارع فإن العربات لا تدخل فيها، إلا شارعا واحدا فقط هو شارع الواد، كما لاحظ أن جميع السوق مسقوف، ويحيط بالمدينة سور من الحجر، ولها خمسة أبواب: باب النصر، باب الخليل، باب داود، ثم باب الأسباط.

ولم ينسوا زيارة البحر الميت وزيارة سيدنا موسى، وفى أثناء سيرهم وجدوا أشجار الموز وتسقى من ماء الجبل، وبعد مغادرة هذه المنطقة بدأت الطرق تشبه ما عليه فى الحجاز، كما يقول صاحب الرحلة، ليس فيها عمارة وإنما طبيعية، ثم وصولا إلى نهر الشريعة الذي ينبع من طبرية، ويصب فى البحر الميت الذي وصلوه فوجدوه بحيرة عظيمة، كما يوجد فندق هنا، وخمسة بيوت لأن الباقية خربت بزلزال قبل عامين من زيارته لهذه المنطقة.

ويشبه ملوحة ماء البحر الميت بالملح الإنجليزي من شدة ملوحته، وقد اغتسل بعض من كان يرافقه فى البحر الميت إلا أنهم ما استطاعوا الغوص فيه. وبعد أن انتهوا من زيارة منطقة البحر الميت اتجهوا إلى مقام سيدنا موسى عليه السلام، فصلوا فى مسجده، ثم اتجهوا إلى مقام سيدنا عزير، وبعد ذلك عادوا إلى القدس، وبعد العصر خرجوا لمشاهدة بعض الأماكن فيها.

وبعد انتهائهم من مشاهدة آثار القدس وما جاورها غادروها يوم ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٤٧هـ.

١ ـ وبهذا التاريخ ينتهى ما دونه الرحالة عما شاهده من آثار فى مدينة القدس وما جاورها، وبه ينتهى ما دونه الرحل الثلاثة عما شاهدوه فى القدس وما جاورها من مآثر، ويرى د. عبدالله حامد أن الهدف من الرحلات كان زيارة المآثر الإسلامية وخاصة ما هو موجود فى القدس، والالتقاء بالعلماء للنقاش العلمى، وتبادل الإجازات، ومشاهدة بلدان أخرى فى العالم الإسلامى، ويلاحظ د. عبدالله أن هناك بعض المقارنات بين ما شاهده الرحل أثناء تجوالهم وما هو عليه فى حضرموت.

٢ ـ وقد اتجه الأول من بيروت إلى القدس، بينما هذا ومتى حدثت الرحلات قبل الاغتصاب الصهيونى لفلسطين فلم يجد هؤلاء أي عرقلة فى الوصول إلى القدس، وبعد الاغتصاب انقطعت الصلة بين العالم العربى وفلسطين.

وفى القدس بدأ الأول والثانى بزيارة الصخرة بينما الثالث بدأ بزيارة السيد محمد على العلمى من ذرية الحسن وكذلك زار الأول والثالث كنيسة القيامة بينما لم يدخلها الثانى.

واسترسل الأول والثالث فى مشاهدة الأماكن بينما الثانى اقتصر على قليل من المشاهد، هذا وقد زار الجميع مدينة الخليل والحرم الإبراهيمى، وزار الأول والثالث بيت لحم، ولم يزره الثانى. وزار الثالث فقط البحر الميت.

ووصف الرحالة الثالث مدينة القدس، ويشير إلى أن حارة اليهود فى القدس حديثة العهد.

ولد خليل رعد في بحمدون (لبنان) عام 1854 و عمل مساعداً للمصوِّر غرابيد كريكوريان في القدس في نهاية القرن التاسع عشر، ثم ما لبث أن افتتح استديو خاص به في شارع يافا مقابل استديو كريكوريان. كمعظم مصوّري القدس وفّر رعد لزبائنه من السّواح الأجانب و العرب مجموعة من الملابس التقليدية يختارون منها ما يريدون لباسه أمام عدسته كتذكار لزيارتهم القدس.

في الصورة:
سيدة مرتدية زي تقليدي.
القدس 1920
المصور: خليل رعد
مجموعة المؤسسة العربية للصورة



## ثانيا: الرحالة الأجانب

### (١) الرحالة الألماني فيلكس فابري

تكتسب رحلة الألماني فيلكس فابري(١٤٣٤ ـ١٥٠٢) إلى القدس أهمية خاصة في تاريخ الحقبة المتأخرة من العصور الوسطي، ليس فقط لما كتبه فابري عن الأراضي المقدسة وإنما لما قدمه من وصف نادر للمدن التي قام بزيارتها، وهو وصف تميز بالدقة المتناهية في العرض والتحليل.

وفيلكس فابري من مواليد زيورخ عام١٤٣٤ ـ١٤٣٥ وينتمي إلى عائلة نبيلة، وعند بلوغه عامه التاسع عام١٤٤٣ قتل والده في أثناء فترة الحرب الأهلية فانتقل إلى عمه الذي كان يشغل منصب قائد لبعض الفرق الحصينة في كيوربورج. وفي الخامس والعشرين من نوفمبر١٤٥٢ لبس فابري ثوب الراهب في بال ومارس عمله مترجما للغة اللاتينية التي كان يتقنها. وقد اشتهر اسمه في هذا المجال، ثم ما لبث فابري أن ترك مدينة بال وذهب إلى دير الدومنيكان في مدينة أولم حيث أصبح داعية ومبشرا عاما. على أية حال فقد كانت رحلة فابري الأولي إلى بيت المقدس والأراضي المقدسة في عام١٤٥٧ م/٨٦٢هـ.. أما رحلته الثانية، فكانت في عام١٤٨٣ م/١٤٨٤م، والتي زار خلالها سيناء ومصر عن طريق الصحراء ثم إلى البحر الأحمر متوجها من السويس إلى القاهرة، ومنها عن طريق النيل إلى الأسكندرية التي أبحر منها إلى فينيسيا. وفي عام١٤٨٨ م/٨٩٤هـ، عكف فيلكس فابري على كتابة رحلته باللغة الألمانية واللاتنية، وبعد انتهائه من كتابة رحلته قرر العودة لزيارة مدينة القدس، وحصل بالفعل على الموافقة بالسفر في٢١ أكتوبر سنة١٤٨٩ م وتعد هذه الرحلة الأخيرة لفابري حيث مات وهو بثوب الحج بعد عودته في١٤ مارس١٥٠٢ م/٩٠٨هـ.

وبشأن هذه الرحلة وقع اختيارنا على الدراسة الممتازة التي قدمتها الدكتورة سهير محمد إبراهيم نعينع أستاذة تاريخ العصور الوسطي بكلية الآداب جامعة الاسكندرية والتي قدمتها إلى مؤتمر إلى كلية الآداب، جامعة القاهرة.

وفي دراستها تحاول د. سهير نعينع ربط ما جاء في كتابات فابري بعضه ببعض وذلك لاستخلاص رواية متكاملة، خاصة أن الجزء الأول من كتابه كان أشبه ما يكون بالمذكرات اليومية التي ربما دعته إليها ظروف رحلته والوعد الذي قطعه على نفسه للرهبان إخوانه من جماعة الدومنيكان التي ينتمي إليها.

وتميزت كتابات فابري منذ البداية بوصف كل ما يقابله أو يشاهده حيث كان مغرما إلى حد كبير بكتابة مشاهداته في شكل تقرير يومي منفصل أشبه ما يكون بالمذكرات الشخصية.

وجاء على لسان فابري في وصف مدينة القدس أنها أكثر المدن روعة وجمالا، فيقول «هي القدس التي ينتشر شذاها في كل مكان من العالم لتستدعي المسيحي المخلص للذهاب إليها». وتقع مدينة القدس في اتجاه الجنوب الشرقي وسط حدائق وأشجار الفاكهة والتين، وكان جبل صهيون والقلعة أول ما شاهدته قافلة فابري ووصفه وما عليه من مبان سليمة وأخري مهدمة، وكما وصف قلعة جبل صهيون وتحصيناتها القوية وأبراجها العالية والتي بدت وكأنها تحيط المدينة كلها. ويذكر فابري «أن الحجاج الذين لم يشاهدوا القدس من قبل سوف يعتقدون أن جدران القلعة هي جدران القدس». وحين وصلت القافلة إلى مكان القلعة تركوا بعيرهم لسائقهم ودلفوا من باب أطلق عليه فابري اسم باب التجار أو باب السمك أو باب داود. ويفضي هذا الباب إلى شارع طويل ينتهي عند كنيسة عظيمة مغلقة أمامها مكان فسيح مرصوف بالرخام الأبيض المصقول ذي بياض شاهق. ويسهب فابري في وصف مشهد استقبال الحجاج للنبأ الذي ذكره رجل من دير صهيون بأن هذه الكنيسة هي أقدس الكنائس، وما كان من أمر الحجاج الذين قاموا بإلقاء أنفسهم على أرض المكان أمام باب الكنيسة وتقبيل الأرض والصلاة والبكاء والعويل. وبعد انتهاء مشهد الصلاة تمكن فابري من أن يري الفجوات التي كان يمر منها الطعام إلى حراس الكتاب المقدس حيث كان يقفل عليهم بداخل الكنيسة في مقصورة توجد بها الكتب المقدسة وفي منتصف الفناء توجد علامات على الأرض الرخامية. بعد ذلك قام مرشدهم بقيادتهم إلى خارج الميدان حيث عبروا الطريق إلى مستشفى القديس جون الذي يعتبر من أكبر المباني المقبية ووصفه بأنه شديدة القذارة ومحطم ويشبه في شكله قاعات الطعام الكبيرة في الأديرة. ولم يفت فابري الاشارة إلى وجود العرب المسلمين واليهود والمسيحيين الشرقيين عند وصولهم لهذا النزل ومعهم الخبز والمياه والغذاء المطهو والفاكهة يبيعونها لهم. وأن دل هذا على شيء (كما تقول د. سهير نعينع في دراستها) فإنما يدل على روح التسامح والأمان اللذين وجدا في القدس وقت زيارة فابري وتحت حكم دولة المماليك الثانية وبالتحديد على عهد السلطان قايتباي (١٤٦٨ ـ ١٤٩٦ م/٨٧٢ ـ ٩٠١ هـ) حيث وجدت المراسيم الخاصة بتوفير معاملة محترمة للحجاج المسيحيين الشرقيين المقيمين بصفة دائمة والسماح لهم بترميم كنائسهم وأديرتهم. بعد ذلك تلقي الحجاج دعوة من الأب الحارس لدير صهيون لزيارة الدير والاشتراك في قداس عيد القديسة مارجريت العذراء بكنيسة صهيون، ووصف فابري القداس معلقا على تزيين المكان بالأغطية والمفارش والستائر الثمينة المطرزة تطريزا بديعا لم ير له مثيل في فخامته في أي مكان لدرجة أن قواد العرب المسلمين والأتراك والمماليك جاءوا طلبا لمشاهدة هذه الستائر والمنسوجات. ويضيف فابري أن هذه الكنيسة الصغيرة كانت جزءا من كنيسة كبيرة كانت موجودة في تلك البقعة وأن المكان قد استولي عليه العرب المسلمون وقاموا بتحويله إلى مسجد. ويؤكد على كلامه هذا لتشابه الجدران الموجودة بالكنيسة (التي هي الآن مسجد) بالجدران الموجودة في مقدمة جوقة المرتلين، وأن السلطان المملوكي قام بالاستيلاء على المكان من الإخوان الفرنسيسكان بسبب طلب اليهود المتكرر من السلطان إعطاءهم هذا المكان ليكون معبدا لهم، وادعوا أحقيتهم في ذلك المكان فهو ـ كما يدعون ـ مكان دفن نبيهم داود فما كان من السلطان إلا أن قالص إننا أحق الناس بنبي الله داود منكمص وأمر بغلق الباب الخاص بالدير وحول الكنيسة إلى جامع وأقام بابا من الخارج خاصا بالمسلمين يفصل بينه وبين الكنيسة، وهكذا فقد الإخوان الرهبان الفرنسيسكان هذا المكان الأكثر تقديسا ـ على حد تعبيره ـ بسبب تعنت اليهود وتصميمهم على امتلاك ذلك المكان فقاموا بالاحتجاج لدي السلطان المملوكي وتعهدوا بدفع الآلاف من النقود الفضية ثمنا لهذا المكان. ويعلق فيلكس على هذا الأمر تعليقا متهكما ساخرا فيقول إن اليهود لم يقوموا بهذا الطلب لمجرد تبجيل واحترام مقابر الملوك أو لقداسة المكان، ولكنهم يأملون في الوصول إلى توابيت الملوك وإيجاد الكنوز التي يعتقدون بوجودها هناك بزعم أنها من حقهم، وقد تصدي فابري لتكذيب مزاعم اليهود بشأن هذا الأمر وذكر صراحة أن قصة اليهود مشكوك في أمرها لأنه ليس من المعقول أن يقوم الملوك والأنبياء بمثل هذه الأفعال التي هي أقرب إلى الوثنية والهمجية في رأيه، ويؤكد على أن الملك سليمان (عليه السلام) كان في إمكانه إخفاء هذه الكنوز بعمل أكثر فنا من دفنها، لأنه كان قادرا على ذلك. ويضيف فابري أن إخفاء الكنوز من جانب هؤلاء الرجال المقدسيين لم يكن بدون فائدة أو حبا للغني المؤقت، فبعد مرور الزمن سوف يكون لهذه الكنوز فائدة للجنس البشري عامة وليس لجشع اليهود الذي لا يمكن أن يشبعه شئ قط.

تطرق فابري بعد ذلك إلى وصف رغبته الشديدة لمشاهدة هذا المسجد المجاور للكنيسة من الداخل ويسجل كيف واتته الفرصة حينما أغلق الحارس المسلم باب المسجد بسرعة دون التأكد من قفله جيدا، أو ربما كان ذلك لوجود عيب في مفتاح القفل الخاص بالباب، الأمر الذي منع المزلاج من التحرك؛ وهكذا ظل الباب مفتوحا طيلة وجوده في هذا المكان وتمكن من دخول المسجد أكثر من عشر مرات ـ على حد قوله ـ رأي خلالها المسجد من الداخل على الرغم من الرعشة التي كانت تنتابه خوفا من أن يراه أحد، فيقع في مشاكل كثيرة في حالة نجاته من القتل. وعلى الرغم من رواية فابري هذه والتي ربما توحي بصدقه إلا أن الدكتورة سهير نعينع تجده في موضع آخر ينفي عن نفسه دخول أحد المساجد على الرغم من حبه للمشاهد الغريبة وفضوله كما يقول، إلا أن هذا لم يغره أبدا بالدخول إلى داخل المسجد الأقصي. وقد نسي أنه وصف هذا المسجد الصغير من الداخل وكيف كانت به مقصورة طويلة ذات سقف مقبي وبها نافذتان في الجانب الشرقي، وفي الجانب الشمالي من المسجد توجد مقبرة رخامية، أما أرض المسجد فهي مغطاة بالحصير كما يوجد مصباحان معلقان، ولم يفت فابري الاشارة إلى تعجبه لعدم وجود مذبح أو رسومات أو أي عمل نحتي داخل المسجد، وأن أهم ما يميز هذا المسجد حوائطه البيضاء الخالية من الزخارف والرسومات.

وحين يذكر فابري مدينة بيت المقدس ويعدد الأسماء التي كانت تطلق على المدينة عبر العصور التاريخية المختلفة، تلمس د. سهير نعينع الانتقال الكبير بين أسلوبه التقريري الذي بدأ به وصف رحلته لينتقل إلى أسلوب آخر أكثر تحققا، يتضح منه الاستعانة بالكتب التاريخية والمصادر المتاحة له بحكم إجادته للغة اللاتينية إلى جانب رجوعه في أحيان كثيرة إلى الكتاب المقدس (الإنجيل)؛ فهو يقول: إن مدينة القدس قد لقبت بأسماء كثيرة ومتعددة، فهي سالم وأحيانا يلقبها الشعراء سليما، وجيبوس وأورشليم ولوكا وأطلق عليها جرن أيضا وأريل المدينة الدموية وابنة صهيون والمدينة التي لا تهجر وعرش الرب والعظيمة بين الأمم، والأميرة بين المقاطعات، ووادي الرؤية، والبرج واليا نسبة إلى اسم الامبراطور هادريان، كما أطلق عليها هاليا وكابيتوليا، ولقبت بالجاريزا والجبل العالي الشاهق، ويذكر فابري أن العرب المسلمين لقبوها بالكوثة Alkosse وأطلق عليها اللاتين Jerusalem أو القبر المقدس.

أما بالنسبة لمساحة المدينة، فهي كما يقول أصغر من المدن الكبيرة وأكبر من المدن الصغيرة أي أنها متوسطة المساحة، وهو ينص على أن لمدينة بيت المقدس ثمانية أبواب أو بوابات رئيسية في الأزمنة القديمة، لكنه لم يستطع تمييز سوي خمس بوابات أو أبواب رئيسية فقط. وهي من الشرق البوابة الذهبية. وبين الشرق والجنوب بوابة الروث، وفي الجانب الجنوبي توجد بوابة العين، التي من خلالها نصل إلى عين سلوان، وإلى الغرب توجد بوابة التجار أو السمك، كما يسميها فابري، ويقول إنها هي نفسها باب داود. وفي اتجاه الشمال بالقرب من الركن الذي يتصل بالحائط الشرقي توجد بوابة إبراهيم. وقد ذكرها في موضع آخر تحت اسم بوابة القديس ستيفن. وهناك مسافة طويلة بين بوابة السمك وبوابة القديس ستيفن وذلك لأن باب التجار أو السمك أو داود مقام في الركن الذي يصل إلى الحائط الجنوبي الغربي، والسور الغربي للقدس ـ حسبما يذكر فابري ـ لا توجد به أبواب وهو يخالف ما هو مدون في المصادر الإسلامية.

أما عن سور المدينة الذي كان يحيط بمدينة القدس فهو كما جاء في كلام فابري، قديم ومتهدم وعلى دوران حوائطه كانت توجد شرفات وأبراج نستطيع تمييز أماكنها، إلا أن العرب قاموا ببناء أبراج أخري داخل المدينة بالقرب من المساجد. ومن خلال قراءات فابري في المصادر التاريخية، يذكر أنه كان لمدينة بيت المقدس أسوار مزدوجة

دائرية وقوية تحيط بها الخنادق من كل من الجانبين الغربي والشمالي، أما بالنسبة للجانب الشرقي فيوجد وادي يو شفاط Jehoshephat والجانب الجنوبي يقع وادي صهيون. والمدينة كما يصفها غير مستوية تكثر بها التلال وهي نفسها مدينة على تل كبير يجد المرء نفسه في صعود وهبوط في كل أنحاء المدينة، ويعد جبل صهيون أعلى قمة ويوجد على المنحدر الشمالي منه عدد كبير من منازل المدينة، ويعلو فوق كتف جبل صهيون جبل جاليوري، وهو يدعم كنيسة القيامة، ويوجد أيضا جبل يطلق عليه فابري جبل موريا.
أما بالنسبة لدور العبادة، فقد ذكر فابري المسجد الأقصى وكنيسة القبر المقدس التي كانت قد تحولت إلى مسجد وقت زيارته للمدينة، كما توجد مساحات واسعة رحبة وفسيحة متصلة بمباني المسجد إلى جانب وجود العديد من المساجد الأخرى ودور العبادة الخاصة بالمسلمين واليهود. وبالنسبة لشوارع المدينة كما ذكرها فابري، فهي تنقسم إلى شوارع رئيسية مقبية، ويوجد أسفل تلك القباب محلات تجارية أو مطابخ الطهاة، أما عن الشوارع الأخرى غير الرئيسية فيسكن بها العاملون، ومعظم منازل المدينة مبنية من الحجر، ومع ذلك توجد بعض المنازل المبنية من الطين يسكنها الفقراء وبداخل المدينة توجد منازل كبيرة وجيدة إلا أن الجزء الأكبر منها غير مستغل ومهمل مما عرضها لهدم بعض أجزائها.

وبالنسبة لسكان مدينة القدس فكما يشير فابري إنها تعج بالعديد من الأجناس، ويكون العرب المسلمون الأغلبية العظمى من سكان القدس وهم يميزون - في رأي فابري - جوهر الإله ويؤمنون أن لا إله إلا الله. ويأتي بعدهم اليونانيون وهم مسيحيون لا يتبعون كنيسة روما، ثم السوريون واليعاقبة والابيسنيا أو الأبيسنيون The Abyssinians أو الهنود، والنساطرة، هؤلاء في رأي فابري مسيحيون قد ضلوا الطريق ويتكلمون اللغة الكلدانية.

كما ذكر أيضا طائفة الأرمن وهم - في رأيه - مسيحيون غارقون في الأخطاء المتنوعة ويوجد بينهم وبين اليونانيين خلافات مستمرة وحروب، وهم يتكلمون لغة خاصة بهم لها أبجدية خاصة. وقد عدد فابري فئات أخرى من السكان مثل الجريجوريين وهم طائفة مسيحية ورجال حرب منذ مولدهم وهم مهابون في كل أنحاء الشرق، أما عن طائفة المارونيين فهم في نظر فابري كفارا لأنهم يؤمنون بالطبيعة الواحدة للمسيح، وهم يستخدمون الجرس في كنائسهم مثل الكنائس الغربية. ومن فئات السكان التي ذكرها فابري التركمان، وهم في الأصل أتراك كانوا يعيشون في قبائل همجية ثم قاموا بغزو كل آسيا الصغرى وجزء كبير من آسيا الكبرى.
وأشار أيضا إلى وجود البدو من شبه الجزيرة العربية يقطنون القدس، كما أشار أيضا إلى وجود طائفة الحشيشية والباطنية.
ولم يفته الكلام عن فئة المماليك كفئة متميزة حاكمة تملك وتحكم الشرق بأكمله بقوة السلاح. أما اليهود فقد ذكر فابري أن عددهم في مدينة القدس يبلغ أكثر من خمسمائة يهودي، ويؤكد على أن الاحتقار والبؤس الذي نالهم قد أدى إلى ضعف إدراكهم وفهمهم، وهم محتقرون في كل أنحاء العالم، ولديهم طوائف عديدة فيما بينهم مثل سامورتيون (السامريون) والأسينز (Essenes الأسينيون) وأنه لا يزال تظهر بينهم باستمرار بدع جديدة. أما بالنسبة للمسيحيين اللاتين فهم أقلية يسكنون الكنيسة ودير جبل صهيون، ويبلغ عدد الطوائف المسيحية الأخرى أكثر من ألف مسيحي من كل طائفة وبلد.

وعن مصادر المياه في مدينة القدس - كما رآها فابري - فمعظمها من مياه الأمطار التي تجري في مجار مائية مبطنة ومستوية تميل من أعلى إلى أسفل ويتجمع فيها ماء المطر ويخزن في أماكن معدة لتخزين المياه في أحواض أو صهاريج وقنوات لصرف المياه، ولذلك فالمدينة لديها اكتفاء ذاتي من المياه.
وحين يتطرق فابري إلى وصف المسجد الأقصى، يذكر أنه مبني شريف وعظيم على شكل مستدير على طراز البرج العالي المتسع، وبداخل الجزء المستدير يوجد حائط آخر مبني أو مقام على الأرض يحيط به كله وبين هذا الجزء والمسجد مساحة واسعة، ويدعم هذا الجدار من جانب واحد قبة تستند من الجانب الآخر إلى جدار المسجد، أما داخل المسجد فتوجد دائرة من الأعمدة الرخامية يكون مرتفا حول الدائرة، وعلى الحائط الخارجي توجد نوافذ مزججة مستطيلة الشكل مثل تلك التي في الكنائس، والمسافة بين النافذة والأخرى كبيرة بحجم النافذة نفسها، وقد طليت هذه المسافة من الخارج بالفسيفساء (الموزيك) بشكل ثري جدا، وطلي إطار الصورة بسطح من الذهب، بينما تحتوي الصورة على أشجار النخيل وأشجار الزيتون أو أشكال الملائكة، حيث لا يسمح بأي صور أخرى أو نحت على المساجد. أما الجزء المرتفع للمسجد الذي يعلو الأعمدة ويحيط بها، فقد بني عاليا في الهواء وبارزا عن الجناح المحيط الواسع السابق ذكره، وفي هذا الجزء العلوي توجد نوافذ متصلة حوله كل واحدة تتصل بالأخرى. ولكنها أقصر وأصغر من تلك النوافذ في الدور السفلي. وعلى قمة هذا المسجد يوجد سقف مغطى بالرصاص الذي كان مذهبا في يوم ما، وفي أعلى قمة القبة يوجد هلال مثلما كان الوضع في المساجد الأخرى، وحول المسجد من أسفل النوافذ المرتفعة يوجد ممشى يقف عليه خدام المسجد يؤذنون بالنهار وبالليل ويعلقون المصابيح المضاءة في ساعات معينة، وفناء المسجد مبلط بالرخام الأبيض المصقول وهو نظيف لدرجة أننا رأيناه من فوق قمة جبل الزيتون، وكأن المسجد قائم فوق حوض من المياه البيضاء الهادئة. وينتهي التبليط بالرخام في الناحية الجنوبية للفناء حيث توجد حديقة أو بستان من أشجار الزيتون بهيجة الشكل.
ويعلل فابري وجود أشجار الزيتون في هذا المكان لإمداد مصابيح المسجد بالزيت اللازم لإضاءتها، حيث يبلغ عددها أكثر من سبعمائة مصباح.
ويضيف فابري أن هذه المشاهد الخاصة بوصفه للمسجد الأقصى من الخارج كما رآها، ولكنه يستنتج أن داخل المسجد مثل باقي المساجد التي شاهدها من قبل لا توجد بها صورة منحوتة ولا مقاعد خشبية مثل الكنائس، فلا يوجد غير المصابيح المعلقة، ولكن من روايات البعض يعرف أن بداخل المسجد صخرة ترتفع عن الأرض محاطة بحديد متشابك من كل جانب لا يجرؤ أي مسلم على الاقتراب منها.
لم يفت فابري تسجيل انبهاره بكيفية تعامل المسلمين مع المسجد بكل الاحترام والتبجيل، فهم يجتهدون دائما للمحافظة عليه نظيفا ومنظما ويقومون بغسله يوميا من الداخل والخارج، مما جعله يبدو دائما مصقولا ولامعا، والمسلمون لا يدخلون المسجد إلا بعد التطهر بالوضوء، ويمشون بكل وقار واحتشام، كل يمشي بمفرده كأنه سيد عظيم، وهم لا يتحدثون معا أو يحضرون أطفالهم أو الكلاب إلى المسجد. وقد خصص بابا خاصا للسيدات يدخلن منه بعيدا عن الرجال، وتصادف وجود السلطان المملوكي وقت زيارة فابري للقدس، فقام بتسجيل هذه اللحظات ووصف كيف قام خدام المسجد بغسل أرصفته بماء الورد ثم قيامهم برش السلطان نفسه بنفس الماء قبل دخوله المسجد، وفي رأيه أن هذا نوع من أنواع التبجيل والتكريم والعظمة للمسجد وللسلطان.
وأشار فابري مرة أخرى إلى سماحة حكم المسلمين لتركهم حرية الأديان، ومع ذلك فهم لم يسمحوا قط لأحد بالدخول إلى المسجد من الملل الأخرى. وعلى الرغم من ذلك التحريم، فإن العديد من المسيحيين قاموا بالمخاطرة وابتدعوا طرقا مختلفة للدخول ومشاهدة المسجد من الداخل.

تمثل هذه الصورة المأخوذة عام 1922 أحد تجارب الهواة الفريدة في مجموعة المؤسسة العربية للصورة وهي تبيّن مدى انتشار ثقافة الصورة الفوتوغرافية ضمن فئات الشباب في فلسطين، و مدى اكتمال الجانب التقني فيها. في الصورة:
السيد سكاف
بيت لحم ٢٢٩١
المصور مجهول
مجموعة المؤسسة العربية للصورة



بعد ذلك، ينتقل فابري ليصف الجانب الجنوبي من المسجد الأقصي فيذكر وجود مسجد كبير و كنيسة متزايدة الجمال بنيت على طراز الكنائس الغربية وهو يرجح أنها بنيت من زمن وجود الصليبيين وأطلقوا عليها اسم كنيسة العذراء مريم وأحيانا يطلقون عليها كنيسة التطهير أو معبد سيمون، كما يطلق عليها البعض معبد الرب وآخرون يسمونها معبد زكريا (محراب زكريا) ويضيف أنها كانت مقر طائفة الداوية في القدس ثم تم تحويلها إلى مسجد.

وكما يذكر فابري فهو الآن (أي وقت رحلته) مغطي بالرصاص وبيضاء فيه ليلا ثمانمائة مصباح ويمتد أمامه فناء واسع يوجد أسفله مبني تحت الأرض مقبي ومميز يتسع حجمه لستمائة حصان. وبالقرب من هذا المسجد يوجد مسجد آخر ليس له فناء ولكنه عظيم وثري، ويوجد بداخله ثمانية وثمانون مصباحا فضيا. ويعتقد فابري أن أول كنيسة بنيت في القدس هي التي توجد على جبل صهيون، وذلك قبل بناء كنيسة القيامة وظهور النار المقدسة. ولفابري رأي خاص عن مدينة القدس، فهو يقول إن ما تمتعت به القدس من مجد وشرف إنما يرجع إلى وجود كل من المسجد الأقصي وكنيسة القيامة، أهم الأماكن المقدسة، وبسبب هذين المكانين المقدسين نالها الكثير من المجد والإذلال على مر الأزمنة منذ العهد القديم وحتي هذا اليوم. وقد سجل فابري استنكاره للحالة التي وجد عليها المسيحيين تحت حكم المسلمين من لامبالاة، وفي رأيه أنهم يستندون في ذلك إلى ما يتمتعون به من حرية كاملة في المرور من بلد إلى بلد لزيارة الأماكن المقدسة الخاصة بعبادتهم بدون خوف أو انزعاج أو ابتزاز، وهذا الكلام الذي جاء على لسان فابري إنما هو ترجمة للواقع الذي يؤكد على الحالة السلمية والسماحة الدينية التي كان يتمتع بها المسيحيون في الشرق الإسلامي وإبطال مزاعم اللاتين لاستغلال هذه النقطة للدعاية السيئة ضد المسلمين وحكامهم. وعلى الرغم من هذا الكلام الواضح في وصف الأشياء الايجابية الخاصة بمعاملة المسيحيين الحجاج وروح التسامح التي كانت سائدة، إلا أننا نجده في كثير من الأحيان يظهر روح التعصب الأعمي لدرجة التشنج واستخدام أسلوب متعصب في كتاباته واستخدام ألفاظ تسئ إلى الإسلام وإلى نبيه الكريم محمد صلي الله عليه وسلم ولا تليق برجل في ثقافة فابري وعلمه، ولكن يبدو أن روح الداعية المبشر غلبت عليه وحالت بينه وبين استخدام العقل فيما يقول وأخرجته عن الصواب، فهل كان هذا بسبب طبيعة العصر المتعصبة ضد الإسلام أم كان عيبا في شخصية فابري؟

وفي ختام هذا البحث، تسجل د. سهير نعينع رأيا نادي به فابري، فربما يفسر هذا الرأي ما نعاني منه في الوقت الحاضر. فهو يري أن مدينة القدس قد عانت كثيرا من سوء الحظ نتيجة للتعصب الأعمي لليهود في الدفاع عن معابدهم، ويري أنهم اذا تركوا هذا التعصب الأعمى والحماس المتصلب المتزايد، لما أدي هذا إلى تدمير المدينة على يد الرومان والفرس في أزمنة متلاحقة، وربما ينطبق هذا الرأي على اليهود في الوقت الحاضر، فما زال هناك التعصب الأعمي والتصلب المتزايد الذي قد يؤدي في النهاية إلى هدم عملية السلام ودخول المنطقة في حرب لا يعلم مداها إلا الله.

على أية حال تري د. سهير نعينع أن فيلكس فابري تميز بكتابة رواية تميل إلى الدقة في الوصف والتدليل على صحة الأماكن التي رآها ومقارنتها بما كتب في المصادر التاريخية، وتميز في نقل الأشياء التي رآها ايجابية كانت أو سلبية، فلم يتورع مثلا عن ذكر أوضاع الكنائس وقذارتها، والمقارنة بينها وبين نظافة دور العبادة عند المسلمين واحترامها، كما نجده يذكر ما تمتع به مسيحيو القدس من حرية وسماحة دينية، هذا علاوة على ذكره روح التسامح المسلمة مع باقي الأديان مثل اليهودية وأيضا بين الفرق والمذاهب الإسلامية الأخري، وقد أدهشنا بمعرفته الواضحة بهذه المذاهب والفروقات التي تميز كل مذهب عن الآخر وهو ما سجلناه على صفحات هذا البحث. كل هذه الأشياء لم يستطع تعصبه إخفاءها فلم يجد غضاضة في ذكر محاسن المسلمين التي رآها، وإظهار بغضه الشديد لليهود، وتسجيل مبررات هذا البغض من خلال نقد تصرفات اليهود السيئة بموضوعية مستشهدا في ذلك بكتب التاريخ والكتاب المقدس (العهد الجديد) هذا علاوة على إلمامه بالتاريخ بشكل يفوق الوصف، ربما دعته اليه الحاجة لكتابة هذه الرحلة ولكن يبدو أن استعانته بكتب التاريخ التي قام بتسجيل أسمائها قد تفوقت على سرد الرحلة نفسها وألجأته أحيانا إلى الخلط بين ما رآه وبين ما يستمده من الكتب التاريخية، وأحيانا الأحداث الجارية التي جاءت بعد الانتهاء من رحلته وقام بتسجيلها في كتابه ضمن أحداث الرحلة.

وأخيرا تسجل د. سهير نعينع لهذا الرحالة دقته في وصف الأماكن الموجودة في القدس من مبان دينية وأسواق ومبان عامة، فكثيرا ما كان يتحري الدقة في الوصف والمقارنة بين الموجود فيها وبين ما كان موجودا وتعرف عليه من خلال كتب التاريخ، فهو ينطبق عليه اسم الرحالة المؤرخ أكثر من الحاج أو الداعية المبشر، وربما كان لرحلته هذه قصد آخر. فقد ركز على الأماكن الدفاعية مثل الأسوار والأبواب والأبراج ليس في مدينة القدس وحدها بل في المدن الإسلامية التي زارها على طول رحلته إلى بيت المقدس ومنه إلى سيناء ثم القاهرة ومنها إلى الإسكندرية مسجلا بدقة تامة ما يراه ويؤكد هذا ما ذكره في أول رحلته للوعد الذي قطعه على نفسه لإخوانه الرهبان من جماعة الدومنيكان التي مولت رحلته وكما ذكرت في أول هذا البحث عن احتمال وجود أغراض سياسية تجسسية لرحلته تميزت بها هذه الفترة. وقد أشار فابري صراحة إلى سنة ١٤٨٨ م كتاريخ كان يكتب فيه هذا الكتاب عن رحلته كما كان يذكر أسماء الكتب التي رجع إليها بشكل دقيق والتي استقي منها معلوماته عن القدس مؤرخا بذلك تاريخ القدس منذ القدم وحتي التاريخ الذي أنهي به كتابه. ومن إشارته إلى أحداث دير صهيون وما كان من أمر الخلاف بين اليهود والفرنسيسكان. فان د. سهير نعينع تري أن فابري ربما أنهي كتابه قبل موته في١٥٠٢ م/٩٠٨ هـ بزمن قليل.

من اليسار: توفيق قعوار، عفيف شحيبر و أرتور ميلتشر، فريق الأسود المدرسي.
القدس 1945
المصور مجهول
مجموعة توفيق قعوار / المؤسسة العربية للصورة



## (٢) رحلة المبشرين الأمريكيين إلى القدس

كانت القدس محور اهتمام الدوائر التبشيرية الأمريكية فى مطلع القرن التاسع عشر، مما دفعها إلى إيفاد أول إرسالية إلى القدس، فيما بين ١٨٢٠، ١٨٤٤، وقد غلب على عملها طابع التقصى والبحث وجمع المعلومات عن المدينة المقدسة. وعلى الرغم من أن العمل التبشيري على الصعيد الدينى لم يحقق النجاح المأمول، فقد قدم أعضاء الإرسالية الأمريكية فى القدس ـ من خلال تقاريرهم الميدانية أو جرائدهم التبشيرية وصفا لبعض جوانب الحياة فى القدس، وبصفة خاصة الحياة الدينية، أسهمت فى معرفة بعض الجوانب الغامضة فى تاريخ هذه المدينة، وأبطلت بعض المزاعم اليهودية والصهيونية التى تدعى أن القدس هي أورشليم عاصمة الدولة اليهودية التلمودية، وذلك من خلال محاولة تزييف التاريخ وإيهام العالم بأن وجودهم فى القدس كان دائما على مر العصور. لقد وضعت كتابات المبشرين الأمريكيين فى القدس عدة حقائق تاريخية هامة فى مقدمتها:

١ ـ أن غالبية سكان القدس كانوا من المسلمين.

٢ ـ ضآلة عدد السكان اليهود فى القدس فى العقدين الثانى والثالث من القرن التاسع عشر بالقياس لعدد المسلمين.

٣ ـ وجود عدد من السكان المسيحيين من العرب والأقباط والأرمن واليونانيين فى القدس يزيدون على عدد اليهود.

٤ ـ غلبة الطابع الإسلامى على القدس من خلال انتشار المساجد والمصليات والمآذن بها.

٥ ـ ضآلة الوجود الدينى لليهود فى القدس، والناتج عن قلة أعدادهم، تمثل فى ندرة معابدهم وإقامتهم فى الجيتو بمنطقة ترابية مهملة.

٦ ـ دحض المزاعم الصهيونية بوجود هيكل سليمان فى القدس.

٧ ـ شيوع إطلاق الأسماء العربية على المدن والوديان والجبال فى القدس.

وهكذا يثبت التاريخ بما لا يدع مجالا للشك أن القدس قد ظلت عربية مسلمة طيلة تاريخها الحديث، ولم تكن ذات يوم من الأيام من أملاك اليهود.

ومن الدراسات المهمة التى كتبت حول هذا الموضوع نعتمد على دراسة د. محمد فؤاد خليل أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة (فرع الفيوم) تحت عنوان «القدس من خلال كتابات المبشرين الأمريكيين فى القرن التاسع عشر» (والمنشورة فى كتاب بحوث مؤتمر مصادر تاريخ القدس ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ١٩٩٨)

ولقد تشكلت البعثة التبشيرية برئاسة القسين ليفى بارسونز Levi Parsons وبليني فيسك Pliny Fisk بهدف تنصير الطائفة اليهودية فى القدس، بالإضافة إلى جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن الطوائف الأخرى فى فلسطين، ودراسة إمكانيات العمل التبشيري فى بعض البلاد الأخرى فى المنطقة.

وقد وصل بارسونز إلى القدس فى ١٧ فبراير ١٨٢٠، بصحبة المترجم الخاص بالقنصل الروسى فى يافا، وظل بها حتى مطلع عام ١٨٢٢، ثم أبحر مع زميله فيسك إلى مصر بغرض النقاهة، إلا أنه توفى فى الأسكندرية فى ١٠ فبراير ١٨٢٢، فعاد فيسك إلى القدس ـ لإتمام عمل الإرسالية الأمريكية ـ فى ٢٥ فبراير ١٨٢٤، بعد أن قضى عدة شهور متنقلا بين مصر ومالطة وسوريا، وقد اصطحب معه مبشرين جديدين هما جونات كنيج Jonas King والمبشر البريطانى ولف – Wolff عضو الجمعية التبشيرية البريطانية للعمل بين اليهود.

وقد ظلت هذه المجموعة بالقدس برئاسة فيسك حتى يونية ١٨٢٤.

عندما قطع فيسك وكنيج رحلتها إلى القدس وتوجها إلى البحر الميت ونهر الأردن ثم زارا مصر وسوريا وجبل لبنان. وفى نهاية المطاف قام فيسك بزيارته الثالثة والأخيرة إلى مدينة القدس فى ٢٠ نوفمبر ١٨٢٤، وقد اصطحب معه زميله فى الإرسالية كينج، بالإضافة إلى عضو جديد فى الإرسالية هو المبشر البريطانى القس وليام جويت William Jowett عضو الجمعية التبشيرية البريطانية للعمل فيما بين اليهود، وقد ظلوا فى القدس لمدة سبعة أشهر، وهى أطول فترة قضاها المبشرون الأمريكيون فى المدينة بغير انقطاع خلال السنوات الخمس السابقة، وقد اتجهت الإرسالية إلى بيروت خلال عام ١٨٢٤، ثم توفى المبشر فيسك هناك فى ٢٣ أكتوبر ١٨٢٥.

وكانت وفاة فيسك تمثل عاملا سلبيا، ومع ذلك وعلى الرغم من أن الإرسالية الأمريكية فى القدس لم تتمكن من تحقيق أهدافها التبشيرية خلال تلك الفترة، من حيث إقامة محطات تبشيرية ثابتة فى القدس، فقد ظل الأمل يحدوها فى ذلك، وحاولت التعاون مع البريطانيين لتحقيق هذا الهدف، لكن جهودها قد باءت بالفشل، فانسحب الأمريكيون إلى لبنان وسوريا تاركين فلسطين للبريطانيين، بعد أن قضوا أربعة وعشرين عاما فى القدس فى الفترة من ١٨٢٠ إلى ١٨٤٤.

وقد اتسمت فترة عمل الإرسالية الأمريكية بالقدس بجمع المعلومات وكتابة التقارير عن أحوال القدس، ووصف دقيق للحياة اليومية بها، وطوائفها الدينية، ومقدساتها، ومساجدها وكنائسها ومعابدها...الخ.

ونتعرف فيما يلى على الأوضاع المختلفة للقدس من خلال مصادر الإرسالية الأمريكية فى القدس فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، والتى شملت التقارير الميدانية المرسلة من أعضاء الإرسالية إلى المجلس الأمريكى فى بوسطن (A.B.C.F.M) بالإضافة إلى الجرائد التبشيرية التى أصدرها فى القدس كل من بارسونز وفيسك وكينج وولف.

وعندما وصل المبشرون الأمريكيون إلى القدس فى عام ١٨٢٠، كانت المدينة تحت الحكم العثمانى، فقد كانت القدس صنجقية تابعة لباشا دمشق (أوباشا الشام) التركى، منذ الفتح العثمانى للشام فى عام ٥١٧.

وألحق العثمانيون بصنجقية بيت المقدس ثلاث مدن هي: أريحا وتقع إلى الشمال الشرقى، ثم بيت لحم، والخليل وتقعان إلى الجنوب.

ويتضح من كتابات المبشرين الأمريكيين أن الحكم العثمانى كان متسامحا مع أفراد الطوائف الأخرى من غير المسلمين، كما تميز باشا دمشق ـ المسئول عن القدس ـ بعدالته وحرصه على الاستقرار الدينى فى المدينة المقدسة.

فقد ذكر المبشر القس كينج فى جريدته بتاريخ أول إبريل ١٨٢٥، تفاصيل الزيارة التى قام بها درويش باشا والى دمشق إلى القدس فقال: «لقد أقام خيمته بالقرب من باب يافا ـ أحد أبواب القدس ـ وهذه هي عادته كل عام والتى تستهدف دعم الروابط بين المسيحيين والمسلمين».

كما أورد المبشر ولف تفاصيل الحديث الذي دار بينه وبين المتصرف العثمانى للقدس فى تلك الفترة، أشار فيه إلى قبول المتصرف للهدية التى قدمها له المبشر، وكانت عبارة عن نسخة من الإنجيل، وأكد ولف للمتصرف أنه قرأ القرآن الكريم كله.

وأشارت التقارير أيضا إلى الزيارة التى قام بها الملا العثمانى إلى القدس فى ٢٥ مارس ١٨٢١ حيث التقى برؤساء الأديرة المسيحية المختلفة فى المدينة المقدسة، مما يثبت غلبة روح التسامح الدينى بين العثمانيين والمسيحيين. وعلى الرغم من أن الإشارات التى وردت عن العثمانيين فى تقارير المبشرين الأمريكيين كانت قليلة ومقتضبة، إلا أنها أثبتت حسن معاملة الأتراك العثمانيين لأعضاء الإرسالية الأمريكية، على الرغم من أن عملها من المنظور الإسلامى هو عمل هدام.

وفيما يتعلق بوصف مدينة القدس، فقد اهتم المبشرون الأمريكيون بأبوابها وقدموا لنا تقارير فى ذلك الإطار، تبين أسماء الأبواب ومواقعها وتاريخها وأهميتها فى النصف الأول من القرن التاسع عشر.

وقد قام المبشر القس بلينى فيسك باصطحاب عضوي الإرسالية القسن كينج وولف وتوجهوا فى رحلة داخل القدس، وكتبوا تقريرا فى فبراير ١٨٢٤، يصف مداخل ومخارج المدينة المقدسة، جاء فيه ما يلى:

«بالقرب من الحائط الغربى للمدينة، توجد بوابة يافا وتسمى أيضا بوابة الخليل أو بوابة بيت لحم أو بوابة الحج، أما فى الحائط الجنوبى الغربى للقدس فهناك بوابة صهيون أو داود، كما توجد فى الحائط الشرقى بوابة ستيفن، أو الأسباط أو السيدة مريم، وتوجد بوابة دمشق فى الحائط الشمالى الغربى، وهذه هى البوابات الأربع الرئيسية للمدينة، وهناك بوابتان أخريان صغيرتان يسمي المسلمون إحداهما بوابة المغاربة (وتقع فى الحائط الجنوبى) والأخرى بوابة هيرودس، وتقع فى الحائط الشمالى، كما توجد فى الحائط الشرقى بوابة أخرى هى البوابة الذهبية».

ونلاحظ فى هذا التقرير أنه لم يكن هناك أي باب من أبواب القدس يحمل اسما عبريا، ولو كان يوجد لما توانى المبشرون الأمريكيون عن ذكره، إلا إذا اعتبرنا أن باب صهيون أو داود اسم عبري، وذلك مردود عليه بأن العرب لا يزالون يستخدمون نفس الاسم حتى اليوم، وليس هناك دليل يوحى بأنه يثبت حقا تاريخيا معينا لليهود فى القدس، ولا بد من الإشارة إلى أن أحد هذه الأبواب السبعة يحمل اسما مسيحيا وهو باب ستيفن ـ أحد أتباع المسيح عليه السلام ـ ولم يعط ذلك حقا للمسيحيين فى القدس.

ومما هو جدير بالذكر أن الأسماء العربية قد غلب إطلاقها على أبواب القدس، فقد ذكر التقرير السابق عدة أبواب للمدينة تحمل أسماء عربية وهى:

١ ـ باب دمشق.

٢ ـ باب المغاربة.

٣ ـ باب الخليل أو الحج أو يافا.

ويبدو واضحا من ذلك غلبة الطابع العربى على مدينة القدس فى العقد الثالث من القرن التاسع عشر، بموجب تقارير المبشرين الأمريكيين.

وعندما نتطرق إلى المصطلحات الجغرافية التى استخدمها أعضاء الإرسالية الأمريكية فى القدس، فسوف نلاحظ استخدامهم للأسماء العربية ـ التى كانت سائدة وقتذاك ـ فى وصفهم لمدة القدس وأوديتها بل وجبالها، فقد درج المبشرون الأمريكيون على استخدام كلمة فلسطين بمدلولها الجغرافى المعروف، أي التى تمتد من البحر الميت شرقا إلى البحر المتوسط غربا، ومن بحيرة طبرية وعكا فى الشمال الشرقى والشمال الغربى إلى صحراء النقب فى الجنوب الغربى، بمعنى آخر كانت فلسطين بالنسبة لهم تشمل كلا من:

القدس وعكا وحيفا ويافا وغزة والبحر الميت وبحيرة طبرية. ومن النماذج التى نسوقها من كتابات المبشرين الأمريكيين المتعلقة بهذا

الموضوع، تقرير كتبه المبشر بارسونز من القدس فى ٢٢ فبراير ١٨٢٠ ذكر فيه أنه توجه «فى زيارة إلى جبل الزيتون ـ الذي كان المسيح يقف عليه لإلقاء مواعظه على حوارييه ـ وقد سار من باب دمشق، ومر فى طريقه على كهفين، يطلق على الأول كهف المسيح والثانى كهف السيدة مريم».

وأهم ما فى هذا التقرير أن بارسونز قد ذكر أنه هبط فى طريقه إلى جبل الزيتون بمنطقة وادي «قدرون».

ونلاحظ هنا أن المبشر بارسونز قد استخدم الاسم العربى لهذا الوادي والذي يسمى أحيانا أخرى ـ بالعربية أيضا ـ ووادي مجدون أو وادي جهنم فى شرقى القدس، ووادي الربابة من الجهة الجنوبية، وادي الزبل من الجهة الغربية، والأمر الذي يعيننا أن هذا السياق يبطل الحقوق اليهودية المزعومة فى الوادي، حيث يطلقون عليه بالعبرية «هر مجدون» وفقا لأسفار كتبهم أي جبل مجدون.

وننتقل الآن إلى موضوع مهم تناولته كتابات المبشرين الأمريكيين فى القدس، وهو عن سكان القدس خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر.

ومن المعروف أنه نظرا للمكانة الدينية الكبيرة للقدس، ووجود عدد من المقدسات الدينية بها لدى المسلمين والمسيحيين، فقد سكنته أعداد من الديانتين، بالإضافة إلى أقلية يهودية ضئيلة، فى النصف الأول من القرن التاسع عشر.

وبالنظر إلى أن هدف الإرسالية الأمريكية الرئيسى كان تنصير سكان القدس، وبخاصة اليهود، فقد تركز اهتمامها على جمع أكبر قدر من المعلومات عن أصحاب الديانات الثلاث من حيث أعدادهم ومذاهبهم ودور عباداتهم ومقدساتهم الدينية، وقد قدموا لنا معلومات قيمة ومثيرة للجدل، تتعلق بهذه الموضوعات فى تقاريرهم وجرائدهم التبشيرية.

وفيما يتعلق بالمسلمين، فقد ذكر المبشر فيسك أن الإرسالية قد نجحت فى التوصل إلى تعداد عام لسكان القدس خلال عام ١٨٢٤ وتوصلت إلى أنهم بلغوا عشرين ألف نسمة وأن نصفهم ـ أي عشرة آلاف نسمة ـ من المسلمين.

وقد عاد فيسك فى نفس التقرير المشار إليه آنفا، وذكر أنه يعتقد أن «الجزء الأكبر من سكان المدينة (أي القدس) هم من الأتراك والعرب» مع أنه لم يحدد أعدادهم من بين المسلمين، فاكتفى بوضع تعداد عام للمسلمين.

على أية حال، فإن هذا التعداد يأتى من مبشر مسيحى، يهدم تماما الأطروحات الصهيونية فى هذا الشأن، فقد دأب المؤرخون الإسرائيليون والأمريكيون على وضع تقديرات غير دقيقة لعدد السكان المسلمين فى القدس فى تلك الفترة مقارنة بعدد المسيحيين واليهود، فنجد مبالغة فى زيادة عدد اليهود، ومحاولة لإنقاص عدد المسلمين، وبينما أثبت المبشر الأمريكى أن عدد المسلمين كان عشرة آلاف نسمة فى تلك الفترة، فقد ذكر المؤرخون أن عددهم كان أربعة آلاف نسمة فقط، من بين عدد سكان القدس الذين قدروهم بأنهم كانوا نحو تسعة آلاف نسمة، وهو أمر ـ مما لا شك فيه ـ يستهدف دعم المخطط الصهيونى الرامى إلى تهويد القدس وإعطاء صورة تبرز اليهود وكأنهم كانوا متوازنين ـ من الناحية العددية ـ مع المسلمين، فيما يوحى بأن وجودهم فى القدس لم ينقطع خلال التاريخ الحديث وهذا ليس حقيقيا.

وقد ذكرت تقارير الإرسالية الأمريكية أن العرب والأتراك كانوا يعيشون فى مناطق عديدة من القدس «فتجدهم فى الطرف الشرقى منها، حيث ينتشرون فى كل مربع بها، كما يتمركز جزء منهم فى بيزيتا»، بالقرب من باب الساهرة فى الحائط الشمالى للقدس.

أما فيما يتعلق بالمقدسات الإسلامية فى القدس فى تلك الفترة، فقد أثبتت التقارير غلبة الطابع الإسلامى على المدينة، فأشارت إلى الانتشار الواسع للمساجد والمصليات والمآذن فيها.

فقد ذكر بارسونز فى تقرير له من القدس بتاريخ ٢٢ فبراير ١٨٢٠ أنه قد شاهد مسجدا مقاما أعلى قبور النبى داود والأسباط فوق جبل صهيون (داود)، كما ذكر فى تقرير آخر فى ٢ مايو ١٨٢١ أنه يوجد فى القدس أحد عشر مسجدا للمسلمين.

أما المبشر فيسك فقد ذكر أنه شاهد مسجد عمر وعدة مساجد أخرى بالقرب من المنطقة السكنية لليهود بين جبل صهيون وجبل موريا، كما ذكر أنه شاهد أربع مآذن، اثنتين فى بيزيتا، وواحدة فى أكرا وواحدة فوق جبل داود، كما أنه شاهد اثنتين فى موضع الصلب (حسب اعتقاده) فى مواجهة القبر المقدس، وقد اختتم تقريره قائلا «إنك لا ترى فى القدس مسجدا فحسب، ولكنك ترى مجموعة من المساجد والمصليات، منها اثنان رئيسيان يسمى أحدهما المسجد الأقصى والآخر مسجد قبة الصخرة».

أما فيما يتعلق بالطوائف المسيحية فى القدس خلال نفس الفترة، فقد أبرزت تقارير الإرسالية الأمريكية وجود عدد منها فى المدينة، وأشارت على إقامة بعضها بصفة دائمة، وإلى إقامة البعض الآخر بصفة مؤقتة بغرض الحج إلى الأماكن المسيحية المقدسة.

على أية حال، فإنه وإن بدا غلبة السمة المسيحية على القدس من واقع كتابات المبشرين الأمريكيين، فلا بد ألا نغفل المنطلق العقائدي لهم، فهم يعتبرون أنفسهم من المسيحيين المخلصين المتدينين.

وفى ظل هذا الاضطراب الواضح الذي وقع فيه المبشر الأمريكى من أجل وضع تقدير دقيق لعدد اليهود فى القدس فى تلك الفترة، يبدو لنا أن عددهم كان أقل بكثير من الآلاف الثلاثة التى ذكرها بارسونز، استنادا إلى التقديرات التى كان قد حصل عليها من بعض اليهود، فمما لا شك فيه أن كل طائفة تسعى إلى المبالغة فى تعداد أفرادها حتى لا تتأثر وضعيتها فى المجتمع بقلة عددهم من جهة، بينما نجد أن من مصلحة بارسونز بصفته مبشرا المبالغة فى عدد اليهود أو أي طائفة أخرى، حتى يتسنى له إقناع المؤسسات التبشيرية الأمريكية بالاستمرار فى تمويل إرساليته التى كانت موجهة إلى القدس فى المقام الأول من جهة ثانية، وإن كنا لا نغفل احتمال تعرض بارسونز للخداع وعدم الدقة فى استقصاء المعلومات الصحيحة من جهة ثالثة.

ومهما يكن من أمر، فقد جاء فيسك وذكر تعدادا أكثر مبالغة من تعداد بارسونز، فكتب خلال عام ١٨٢٤ «إن اليهود يبلغون ستة آلاف نسمة من إجمالى سكان القدس البالغ عددهم عشرين ألف نسمة، وأن نصف هذا العدد من المسلمين».

كما ذكر فيسك أنه قد علم من بعض اليهود فى القدس «أنهم ينقسمون إلى قسمين: القسم الأول يتألف من ستمائة (٦٠٠) أسرة من السفارديم (اليهود الشرقيون الأسبان)، أما القسم الثانى فيتألف من خمس وعشرين أسرة من الأشكانيزم (اليهود الغربيون البولنديون)».

وقد قدم المبشر الأمريكى القس ولف تعدادا جديدا لليهود فى القدس فى نفس العام، فذكر أنه حصل على معلومات تتعلق بعدد اليهود، حصل عليها من أحد أحبارهم، وبموجب ذلك فقد علم أن هناك سبعمائة أسرة يهودية فى القدس، وهم ينتمون إلى عدة مذاهب. فمنهم اليهود الفريسيون ـ وبخاصة فيما بين الأشكانيزم ـ بالإضافة إلى مجموعة من اليهود الصدوقيين.

وفى ظل هذا التباين فى كتابات المبشرين الأمريكيين لوضع رقم دقيق لعدد اليهود فى القدس خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر، فلا بد أن نتوقف قليلا لاستنباط الرقم الحقيقى بعدد اليهود فى القدس خلال تلك الفترة.

فإذا سلمنا بأن متوسط الأسرة اليهودية ـ فى أحسن الأحوال ـ يبلغ أربعة أفراد، فسنجد أن مجموع أفراد الـ ٦٢٥ ، أسرة التى ذكرها فيسك يبلغ ٢٥٠٠ نسمة، كما أن عدد الـ ٧٠٠ أسرة التى ذكرها ولف سيصبح ٢٨٠٠ نسمة، هذا إذا وضعنا فى الاعتبار أن اليهود لا يميلون عادة إلى كثرة الإنجاب وهى مشكلتهم التاريخية الدائمة.

على أية حال، فإن المؤرخين الإسرائيليين لم يتمكنوا من أن يقدموا لنا رقما محددا عن عدد اليهود فى القدس فى تلك الفترة، فحاول بعضهم تضخيم العدد حتى يثبتوا وجودهم المستمر فى المدينة خلال القرن التاسع عشر، وهو القرن الحاسم فى تاريخ القضية الفلسطينية، وتراوحت تقديراتهم ما بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ نسمة، فإذا وضعنا فى الاعتبار هذا العامل الأخير، فسوف يصبح من المرجح أن عدد اليهود فى القدس خلال العقد الثالث من القرن التاسع عشر كان أقل بكثير من الألفين، بل سيكون من المبالغة أن نجزم بأنهم كانوا يقدرون بألف نسمة، ولعل ما ذكره المبشران الأمريكيان فيسك، وكينج خلال عام ١٨٢٤، عن المنطقة السكنية لليهود فى القدس، يثبت ضعف وجودهم فى المدينة أيضا فى تلك الفترة، فقد ذكرا «أن اليهود يعيشون فى منطقة ترابية تقع بين جبل صهيون وجبل موريا»، ويبدو أن ذلك كان هو الجيتو الذي أقام فيه اليهود خارج نطاق المنطقة المأهولة بالقدس، وقد تميز بأنه منطقة ترابية غير ذات قيمة من الناحية الطبيعية أو البشرية، أي هى أقل من المناطق العشوائية.

وفيما يتعلق بمعابد اليهود فى القدس، فقد ذكر المبشر ولف: «أنه علم أن اليهود كان لديهم خمسة معابد فى القدس خلال عام ١٨٢٤»، ولم يذكر مواقعها.

أما عن مقدساتهم الدينية فى القدس، فقد أشارت كتابات المبشرين الأمريكيين إلى قبور أنبياء وملوك إسرائيل على أنها موجودة فى جبل صهيون، ومع ذلك فقد أثبتت الإرسالية الأمريكية أنه لم يكن هناك أي وجود لهيكل سليمان الذي يزعم اليهود وجوده أسفل المسجد الأقصى، فلم يجزم بارسونز وغيره من زملائه بوجود الهيكل المزعوم، ولو كان موجودا بالفعل لما توانى عن ذكره، كما أن جويت ـ عضو الإرسالية الأمريكية ـ لم يثبت هو الآخر وجود الهيكل على الرغم من محاولته ذلك، فذكر فقط أن مسجد عمر مقام فى مكان جميل فوق موقع هيكل سليمان، وهذا من ضمن الدعاوى المساندة لليهود فى ذلك الموقع، ومع ذلك فلم يدع أحد من المبشرين الأمريكيين وجود الهيكل فى القدس.

## (٣) رحلة الكاتب الفرنسي شاتوبريان إلى القدس

فرانسو رينيه دي شاتوبريان (١٧٦٨ ـ ١٨٤٧) كاتب وسياسي وشاعر فرنسي شهير، فهو رائد المدرسة الرومانسية في الأدب الفرنسي من مواليد سان مالو بغرب فرنسا لأسرة عريقة، وعرف بنشاطاته الفكرية السياسية وبرحلاته المتعددة، وعين في عام ١٨٠٣ في منصب دبلومسي في روما ممثلا للحكومة الفرنسية بعدما سجن واضطهد بسبب مشاركته في حرب الأمراء ضد الجمهورية واستقال في العام التالي (١٨٠٤)، وبدأ رحلاته عام ١٨٠٦ إلى القدس وبلاد أخرى وانكب على تأليف الكتب، ومنها كتاب «الشهداء» الذي جمع فيه ملاحظات وقصاصات وانطباعات من رحلة كان قد قام بها بين عامي ١٨٠٦ ـ ١٨٠٧ إلى الشرق الأدنى، جامعا كل ذلك فيما بعد في كتاب عرف بـ«المسار من باريس إلى القدس» وصدر للمرة الأولى في عام ١٨١١ واعتبر الكتاب قمة من القمم في أدب الرحلات في فرنسا.

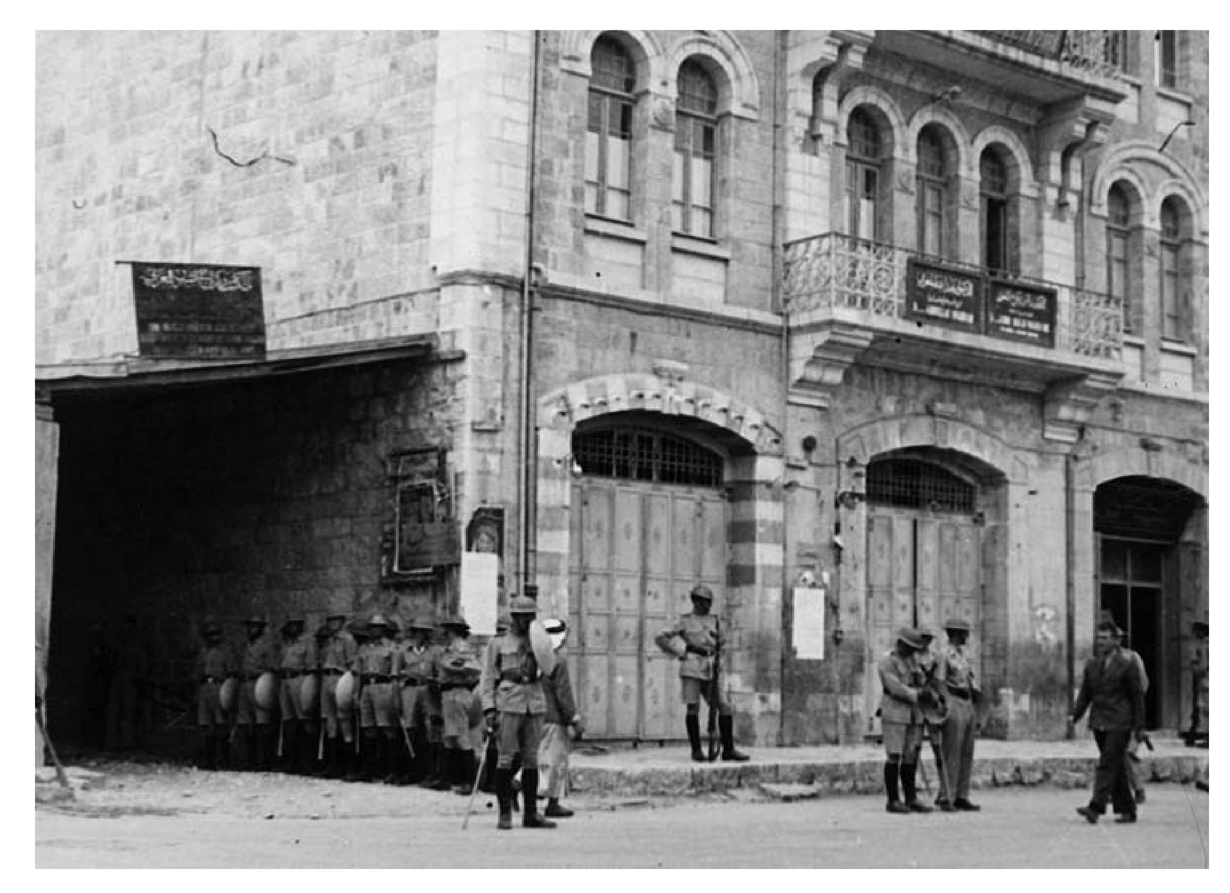
قسم شاتوبريان كتابه إلى سبعة أقسام، ليتحدث في كل قسم منها عن منطقة أو مدينة من المناطق التي زارها. في القسم الأول يتحدث عن اليونان حيث انطلق منها، وفي الثاني، يتحدث عن الأناضول والأستانة، وفي الثالث، ينتقل بين جزيرة رودس ومدينتي يافا وبيت لحم الفلسطينيتين حتى بحر الميت، ويخصص الرابع كله لمدينة القدس، ويسميها «أورشليم» ولأهمية المدينة يتردد كثيرا فيفرد الخامس للحديث عن القدس أيضا، وفي القسم السادس ينتقل إلى مصر حتى يصل في السابع إلى تونس، من الواضح أن شاتوبريان كان مترددا بعض الشئ دون نشر تفاصيل تلك الرحلة في كتاب، إذ إنه بعد ما نشر «الشهداء» في العام ١٨٠٧ محملا إياها عناصر كثيرة مما جمعه من انطباعات وأفكار وصور خلال أربعة أعوام قبل أن يقرر في نهاية الأمر نشر الكتاب.

الكتاب مجموعة نصوص وتأملات تؤكد رؤية شرقية كان شاتوبريان حازها من قبل، فهو أغرم بالشرق وروحانيته وسحره منذ زمن، وقبل سفره إلى الشرق، انكب على المكتبات وعلى كتب التاريخ ولوحات الفنانين وعلى قراءة «ألف ليلة وليلة» وعلى مراجعة كل حرف خطه قلم عن الشرق البعيد القريب الساحر المتعب، وعندما سافر كان يعرف ماذا ينتظره، ويجد القارئ اختفاء روح الاكتشاف والفضول في كتابه، بل هناك إحساس من يتجول في أرض يعرفها، وغابت الدهشة والمتعة، وإنما بدأ الكتاب مفسرا محملا بالحقائق والوقائع التاريخية التي قد تتناقض تفاصيل بعضها مع عفوية المنظر وجلاله.

غير أن رؤية شاتوبريان الروحية لهذا الشرق وإمعانه في إيراد التفاصيل الطريفة يأتي ضمن سياق ما يقوم به إلى الشرق نوع من الحج إلى مهد الحضارات القديمة والوقوف على الأطلال لتصور ماضيها وأخذ العبر منها.

إن شاتوبريان يبدو مستمتعا في بعض الأقسام لاسيما حين يذكره موقع ما بأحداث روحية أو تاريخية أو دينية خاصة في القدس، فهو يعرف جيدا أن هذه المنطقة هي مهد الأديان السماوية حيث كل حجر وكل نهر وكل بقعة تذكره بالأديان.

أفسح هذا الكتاب فرصة المنافسة لدى الذين زاروا الشرق وأرادوا أن يحاكوا هذا الكتاب ويتفوقوا عليه من بينهم دي نرفال، وفلوبير، لكن الوحيد الذي اقترب منه، كان كاتبا من نوع آخر، إنه خادم شاتوبريان يدعى جوليان الذي رافقه في الرحلة، وكان يدون كل ما يشاهده في كل لحظة، إلى أن أصبح كتابا لم ينشر إلا في العام ١٩٠١ بعنوان «جوليان خادم شاتوبريان».



الجيش البريطاني خلال تظاهرة في القدس.
القدس 1939
المصور مجهول
مجموعة حنا حلبي / المؤسسة العربية للصورة

الأميرة ماري خلال زيارتها القدس برفقة المفتي الحاج أمين الحسيني و السيد روحي عبد الهادي.
القدس 1925
مصور مجهول
مجموعة عائلة عبد الهادي / المؤسسة العربية للصورة



## المؤرخون والجغرافيون العرب وتوثيق عروبة القدس

### أولا ـ دور المؤرخين العرب:

برغم ما صنف وألف العلماء والمؤرخون العرب حول القدس منذ القرون الأولى للحضارة العربية وخاصة فى العصور الوسطى فإن الأجيال الحديثة من أبناء القرن العشرين لم تقدم إلا نتاجا متواضعا فى هذا المجال، وإن كنا نشير بجدارة إلى عدد من الأعمال التاريخية الهامة ومنها كتاب عارف العارف تاريخ الحرم القدسى (١٩٤٧)، وكتاب تاريخ القدس (١٩٥١)، والمفصل فى تاريخ القدس (١٩٦١)، وكتاب د. كامل جميل العسلى عن معاهدة العلم فى بيت المقدس (١٩٨١)...الخ

ومن الأهمية بمكان أن يبادر المؤرخون العرب بالاهتمام بالقدس تأليفا وتحقيقا ونشرا، خاصة وأن تراثنا نفيس فى هذه المدينة، ولا بد من المبادرة لإنقاذ هذا التراث من الكتب والوثائق والمخطوطات وهى فى وضع سيئ للغاية.

وليس صحيحا الرأي القائل أن العمل لإنقاذ التراث لا يمكن أن يتم إلا بعد تحرير المدينة، لأن عملية التحرير قد تستغرق وقتا فى مواجهة الأخطبوط الصهيونى، والانتظار قد يؤدي إلى اندثار وضياع وسرقة التراث وهذه كارثة حضارية، وإذا كانت القوة هى العنصر الحاسم فى معركة التحرير إلا أن القوة بحاجة إلى تعبئة فكرية وإعلامية لدحض الادعاءات والمزاعم الصهيونية حول القدس.

ولا شك أن توفير المؤلفات والموسوعات الموثقة والمؤكدة للحق العربى فى القدس وإدراجها ضمن وسائل الإعلام والتثقيف ومناهج التعليم ينشط ذاكرة هذا الجيل ويعظم من وعيه بقضية القدس.

والوعى بعروبة القدس لدى الجيل الجديد يعطى لقضية المدينة المقدسة دفعة قوية لمسألة تواصل الأجيال فى تحمل مسؤولية قومية مقدسة يجب أن تحظى بأولوية متقدمة على غيرها من المسائل والقضايا والهموم الأخرى.

والوعى بعروبة القدس لدى الجيل العربى الجديد يعد من ناحية أخرى محورا رئيسيا لمواجهة مزاعم زعماء إسرائيل ابتداء من بن جوريون إلى شارون، والرد عليها وتفنيدها.

والرد على مثل هذه المزاعم لا يقتصر على القول بأن العرب هم بناة القدس فحسب، وإنما أيضا حماة مقدساتها على مر العصور، حيث لم يفارقها العرب طول سنوات التاريخ الطويل وظلوا شعبها الأصيل وحكامها أطول حقب التاريخ منذ أقدم العصور.

وللأسف فإن هناك عشرات ومئات الكتب التاريخية عن القدس لا تزال مخطوطات، ولم تحقق كتابتها حتى الآن، وعلى سبيل المثال، فإن مخطوطة أتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى من تأليف عبدالله شمس الدين السيوطى فى القرن الرابع عشر لم تحقق إلا فى بداية الثمانينيات من القرن العشرين.

وهناك أيضا وثائق القدس التى لم يكشف النقاب عنها.. ناهيك عن المسروقات الإسرائيلية لمثل هذه الوثائق منذ عام ١٩٤٨ وبالتحديد منذ عام ١٩٦٧.

ونشير بصفة خاصة إلى الاقتحام الإسرائيلى للمحكمة الشرعية فى القدس عام ١٩٩١ وسرقة وثائق تتعلق بالأملاك الوقفية وشهادات تؤكد عروبة القدس.

وجاءت تلك الواقعة وغيرها لتدق ناقوس الخطر حول بعثرة وثائق المدينة المقدسة.. ولا عجب أن يعثر أستاذ جامعى عربى على وجود ٨٨٣ وثيقة من وثائق الحرم القدسى الشريف فى العصر المملوكى، وذلك داخل درجين فقط من أدراج خزائن المتحف الإسلامى بالقدس، وذلك عام ١٩٧٤، وتم نشر هذه الوثائق عام ١٩٨٥ فى حوليات كلية الآداب بجامعة الكويت.

وسجل المؤرخ د. محمد عيسى صالحية أهمية تلك الوثائق فيما يلى:

أولا: إن الوثائق تقدم مادة خصبة للمهتمين بالتاريخ الاجتماعى والاقتصادي فوثائق الإرشاد الحشري وهى التى تبدأ بعبارة «حصل الوقوف على ...» وأشهد على نفسه تسجيل كل ما يملكه المتوفى من ملابس وأدوات وأثاث، مع الإشارة إلى مهنة المتوفى كأن يكون نساخا أو نساجا أو قصابا أو خياطا أو شيخا فى زاوية أو دلالا. ويثبت فى الوثيقة كل الأدوات التى وجدت عنده، وإن كانت المتوفاة إمرأة سجلت أدواتها بما فيها من أدوات زينة وحلى وأثاث، ومثل هذا يعطى صورة جيدة عن طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمجتمع بيت المقدس فى عنصر الوثائق على الأقل.

ثانيا: إن الوثائق تضيف إضافة متميزة لما هو معروف من ملابس الرجال والنساء، ويقينى أن كلا من دوزي ومايرا لو كانا قد اطلعا على الوثائق لتغيرت الصيغة النهائية لأبحاثهما عن الملابس فى العصر المملوكى.

ثالثا: إن الوثائق تغدو مهمة إذا ما أريد إعادة تشكيل الهيكل التنظيمى لمدينة القدس، فالأماكن الجغرافية من دور وزوايا وأسواق وخانقاوات ومساجد وغيرها، المذكورة فى الوثائق، غالبا ما تحدد من جهاتها الأربع، ويؤكد الموقع فى المدينة بذكر الخط أو الحارة الواقعة فيه، فلو رتبت تلك الأماكن الجغرافية ونسقت لأمكن رسم خريطة للمدينة فى العصر المملوكى.

رابعا: تشكل الوثائق شيئا لمن يرغبون فى دراسة مؤسسة ديوان المواريث الحشرية ببيت المقدس فيتناولون عمل وتطور وتنظيم الديوان، وأعتقد أن مراجعنا تخلو من مثل تلك الدراسة المتخصصة.

خامسا: يستطيع الباحث أن يدرس الأحوال الثقافية فى بيت المقدس فى العهد المملوكى، ويتعرف على أسعار الكتب والملابس وأدوات الأثاث، وذلك من خلال وثائق بيع التركات والتى جاءت تحت عنوان «مخزومة»، أو ورقة مباركة، والتى كانت فى معظمها تخص علماء المدينة.

سادسا: تلقى الوثائق أضواء على الحياة الصوفية فى المدينة المقدسة، وخاصة صوفية الخانقاة الصلاحية، فقد حظى أحد صوفيتها بتسعة مراسيم، حيث عين برهان الدين إبراهيم الناصري كمقرئ إمام الصخرة المشرفة أو إمام مدرسة مولانا القاضى أو فى المدرسة الطازية وغيرها.

سابعا: نعتقد أن الوثائق حوت أكبر مجموعة من اختصارات الأعداد (خط السياقة المملوكية)، ويفيدنا حل هذه المختصرات فى إعادة النظر فى كتب الرياضيات وخاصة الحساب والجبر والمقابلة المصنفة فى العصر المملوكى، حيث إن معرفة حل المختصرات من الأعداد تعيق النشر والتحقيق عند الكثير من الباحثين.

ثامنا: إن الوثائق تظل ذات أهمية بالغة فى مجال الدراسات اللغوية والأدبية والإدارية، ذلك أن بعض الوثائق استعملت فيها اللغة العامية الدارجة، وهذا يفيد فى فهم تطور اللغة ومصطلحاتها.

ولكن بقى علينا إعادة ترتيب أوراقنا ووثائقنا التاريخية المبعثرة تحسبا لاحتمال عرض قضية القدس للتحكيم الدولى، وعندئذ تبدو أهمية تضافر جهود المؤرخين مع الجغرافيين والقانونيين العرب فى إعداد وثيقة الدفاع عن هوية القدس العربية، ولقد سبق أن كسبنا قضية تحكيم ملكية حائط البراق عام ١٩٣٠ أمام اللجنة الدولية التى أقرت وثائقنا التاريخية ودفاعنا القانونى عن الحائط.

وهكذا تبدو أهمية مؤتمر مصادر تاريخ القدس المعقود بكلية آداب القاهرة، وما أحوج قضية القدس إلى مزيد من عطاء رجال الجامعات المصرية والعمل على تنفيذ ما طالب به المؤتمر العام لأعضاء هيئات تدريس الجامعات (١٩ يوليو ١٩٩٠) بشأن إنشاء مركز دولى للقدس يتولى عرض قضية القدس فى المحافل الدولية وتعريف الشعوب والحكومات بما تحتويه من مقدسات وبأصولها العربية العريقة.

وهنا تبدو أهمية العمل الموسوعى بشأن القدس.. وخير نموذج لهذا العمل هو مبادرة الإعلامى الفلسطينى الأستاذ فؤاد إبراهيم عباس الذي واصل بمفرده منذ بداية التسعينيات فى إعداد وإصدار موسوعته (موسوعة بيت المقدس).

والمحقق الفلسطينى فؤاد إبراهيم عباس بهذا العمل الموسوعى غير المسبوق يختصر بمفرده عمل مؤسسة كاملة، ويقدم نموذجا أمثل لرسالة الإعلامى العربى الفلسطينى الذي يدين للقدس بعلمه وثقافته.

وحدد فؤاد إبراهيم عباس أهم أهداف هذا العمل الموسوعى فى مقدمة الجزء الأول فيما يلى:

أولا: تثبيت الحق العربى الفلسطينى فى القدس وبيان أن تصدى أهل القدس للهجمات ضد وطنهم عبر حقب التاريخ، إنما هو تعبير جاد وفعال عن حفظ الأمانة التى أودعها الله فى هذا الشعب لسدانة القدس أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، أي أن نضالهم كان على الدوام تكريما لمبدأ حتمية الحفاظ على التراث الروحى للأديان فى أرض المقدسات، كما أن هذه الموسوعة تواكب مطالبة الشعب الفلسطينى الآن بسلام عادل وشامل فى حل القضية الفلسطينية التى هى جوهر الصراع فى الشرق الأوسط.

ثانيا: تأتى هذه الموسوعة تلبية للنداءات المتكررة لمئات المؤتمرات التى عقدت تحت اسم القدس لحفظ وصون تراثها، وأن جنوح الشعب الفلسطينى إلى السلام فى الوقت الحاضر، إنما هو دليل قاطع على سلامة نياته الإيجابية نحو السلام.

ثالثا: مواكبة تعزيز الحملات الدولية لحماية التراث الإنسانى وفقا لاتفاقية التراث العالمى التى أقرها المؤتمر العام (لليونسكو) فى سنة ١٩٧٢، وقد وردت مدينة القدس وأسوارها فى قائمة مواقع التراث العالمى، طبقا لتلك الاتفاقية اعتبارا من ديسمبر ١٩٨٧ وقد عززت الاتفاقية الحرص على السلامة الروحية والمادية والتاريخية للأثر الدينى، هذه السلامة الواجبة عالميا، الأمر الذي يستدعى تغذية الأوساط العالمية الثقافية بالمعلومات المتوافرة بشأن الأثر الدينى، وتشتد الحاجة إلى مثل هذه المعلومات فى حالة الأثر الدينى الماثل لبيت المقدس، لمركزها الدينى فى الأديان السماوية الثلاثة.

رابعا: دعم الجهود التى يبذلها أنصار العدالة وأحرار العالم فى كل مكان لتغليب صورة السلام العادل على أرض المقدسات أرض السلام، وإبعاد شبح التخريب الذي لازم مقدسات القدس من خلال الاحتلال الصهيونى لها، وتعزيز الأمن لشعب فلسطين على أرضه وفى موطنه.

خامسا: تفنيد المزاعم المضللة عن الأراضى المقدسة، وذلك بتثبيت أكبر عدد ممكن من الحقائق والمعلومات عنها، خاصة المقدسات بالمعلومة ذاتها تدافع عن نفسها.

سادسا: خدمة واضعى المناهج الدراسية، وخطط الأبحاث فى الدول العربية والإسلامية، والباحثين الأكاديميين وغيرهم فيها وفى العالم فى اختيار أو تغذية المعلومات اللازمة عن القضية الفلسطينية والمقدسات فى الأراضى المقدسة.

**ثانيا ـ دور الجغرافيين العرب:**

ما يجري داخل القدس وحولها حاليا يمثل فى الحقيقة أعلى مراحل تهويد المدينة المقدسة، فإسرائيل التى قامت بتوسيع بلدية القدس طوال سنوات الاحتلال تستهدف فى المرحلة الحالية عزلها بالجدار عن محيطها الفلسطينى فى الضفة بهدف استراتيجى هو تخليق «القدس العظمى» الموحدة بالتواصل الإقليمى والجغرافى بين المستوطنات الواقعة فى الضفة وخارج حدود البلدية.

هكذا تحاول إسرائيل تفكيك ثوابت الجغرافيا، وأن تستحدث بين يوم وليلة (إذا اعتبرنا أن الاحتلال مهما طالت سنواته مجرد جملة اعتراضية فى حياة الشعوب) واقعا جغرافيا جيدا أو غريبا، شاذا أو منبوذا لا تستطيع المدينة المقدسة أن تستوعبه، فالقدس ليست أرضـا فـقـط، وإنما هـى الأرض والإنسـان مـعـا، لأن مـثـل هـذه التغييرات الجغرافية تستتبعها خلخلة سكانية فى المدينة لصالح المستوطنين اليهود الجدد.

هكذا تكون الديموجرافيا الإسرائيلية الجديدة فى إطار القدس الكبرى على حساب ثوابت الجغرافيا الفلسطينية، بهدف إحداث واقع جديد فى القدس يصعب ـ فى تصور إسرائيل ـ إعادة تقسيمها مرة أخرى فى مفاوضات الوضع النهائى إن قدِّر لها أن تنعقد.

وإذا كـانت مسـؤولـيـة استرداد الـقـدس والـدفـاع عـن أرضـهـا ومقدساتها والحفاظ على طابعها التاريخى والجغرافى والحضاري ترقى إلى مسؤولية «فرض عين» تقع علينا جميعا.. فإن متابعة ما يـجـري من تـغـييرات جـغـرافـية على أرض الـقدس هي مسؤولـية الجغرافيين العرب والمسلمين.

وما أحوجنا إلى كتابات ودراسات هؤلاء الجغرافيين لواقع المدينة المقدسة تحت الاحتلال الإسرائيلى، وهى كتابات ودراسات قليلة وشحيحة ولا تجاري اهتمامات الأجداد فى هذا المجال.

وبـاسـتـعـراض الإنـتـاج الـعـلـمـى لـلـجـغـرافـيين المصريين والعرب والمسلمين المعاصرين، فإننا لا نجد اهتماما مذكورا بما يجري فى المدينة المقدسة فى ظل الاحتلال، كما فعل الإدريسى (المتوفى عام ١١٦٤)، والذي كتب عن القدس أثناء الاحتلال الصليبى لها فى كتابه (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق)، ووصف واقع المدينة الدينى والاقتصادي وقت الحرب. (راجع ماسبقت الإشارة إليه فى هذا النص).

وأؤكد هنا قصور كتابات الجغرافيين المصريين والعرب والمسلمين عن المدينة المقدسة من واقع سجل الإنتاج العلمى للجغرافيين المصريين من مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٥ على سبيل المثال، حيث لم يقع نظرنا على دراسات أو كتب تذكر عن جغرافية القدس أرضا أو سكانا أو احتلالا.

إن المدرسة الجغرافية المصرية مدرسة تاريخية عريقة تقدم للأمة بين حين وآخر علماء وخبراء لهم مكانتهم المرموقة بين جغرافيى عالمنا المعاصر، وندعو الجمعية الجغرافية المصرية، وهى أقدم جمعية متخصصة فى العالم بعد الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن، وقد أنشئت منذ عام ١٨٧٥. ندعوها للمبادرة بعقد مؤتمر طارئ لـلـجـغـرافـيين الـعـرب بـالـقـاهـرة لـتدارس مـا يـجـري داخـل الـقـدس وحولها، ويقدمون للقادة والساسة العرب والمفاوض الفلسطينى خلاصة فكرهم موثقا بالثوابت الجغرافية لكشف المخطط الجغرافى لتهويد القدس منذ أول انتهاك لهذه الثوابت عام ١٩٦٧، ونتائج مثل هذه الدراسات الجغرافية سوف تكون وثيقة من وثائق الدفاع عن القدس فى مختلف المحافل الدولية، وأمام أية هيئة تحكيم دولية إذا قدِّر للقضية أن تعرض للتحكيم لمواجهة تعنت سلطات الاحتلال الإسرائيلى.

على الجغرافيين المصريين والعرب والمسلمين إذن مسئولية كشف ما يجري من تعديل فى الحدود البلدية للقدس منذ أن أسست أول بـلـديـة عـام ١٨٦٣، ومـنـذ أن خضـعـت مـديـنـة الـقـدس لـلاحـتـلال الإسرائيلى عام ١٩٦٧.

ولقد أثارنا قراءة اسم جغرافى إسرائيلى يدعى (جان دي جونج) تردد اسمه فى سياق أحداث السنوات الأخيرة فى القدس لإسهامه بشكل مباشر فى تحديد المحاور المختلفة لتوسيع بلدية القدس لتصبح قدسا كبرى وعاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل.

ومشاركة هذا الجغرافى الإسرائيلى (جان دي جونج) فى عملية توسيع بلدية القدس وتهويدها دفعتنا لتوجيه رسالة العتاب إلى الجغرافيين المصريين والعرب مؤكدين اليوم أهمية دورهم القومى فى كشف ما جرى من تعديل فى حدود بلدية القدس والمخطط الجغرافى لتهويدها كلية.

ومع رسالة العتاب نقول والله لو قدِّر العالم الجغرافى المصري الدكتور جمال حمدان أن يعيش بيننا الآن لتفرغ تماما لقضية القدس ووهب حياته الفكرية كلها لكتابة «جغرافية تحريرها»، ولا عجب، فهو المفكر الجغرافى الذي استحدث فى لغتنا العربية ومناهجنا التعليمية علمين عربيين جديدين من علوم الجغرافيا هما: علم جغرافية المدن من ناحية، وعلم جغرافية التحرير من ناحية أخرى.

وكأنه كان يتوقع ما يجري داخل القدس وحولها مدركا أهمية دور الجغرافيين العرب فى التصدي للمخطط الجغرافى الإسرائيلى التوسعى، فخاطب أقرانه فى مقدمة كتابه المدينة العربية (الصادر عام ١٩٦٤) قائلا: (لابد هنا أن ننبه إلى أمر يختص بفلسطين المحتلة، فقد انتهينا إلى أن علينا أن ندرس ما فعله العدو بها كجزء من واجبنا من معرفة عدونا الأكبر).

من منطلق هذه الرسالة المبكرة (عام ١٩٦٤) التى يستحث فيها الجغرافيين العرب لدراسة ما فعله العدو بالأرض الفلسطينية المحتلة بصفة عامة، فقد كشف أيضا فى الكتاب نفسه (المدينة العربية) أبعاد المخطط الجغرافى الإسرائيلى المبكر لإنشاء تل أبيب كمدينة يهودية صرف وعاصمة لإسرائيل، على حساب يافا دون أن تغفل عين إسرائيل عن كل من حيفا والقدس منذ وقت مبكر.

ومن يقرأ كتاب جمال حمدان (المدينة العربية) سوف يكتشف على الفور أن مخطط إسرائيل المبكر لإنشاء تل أبيب منذ بداية القرن، وحتى إعلان قيام الدولة العبرية عام ١٩٤٨ يتشابه إلى حد كبير مع مخطط احـتـلال الـقـدس الـغـربـيـة (١٩٤٩)، ثم محاولة دمجهما وإعلانهما كعاصمة موحدة عام ١٩٨٠، ثم توسيعها خطوة خطوة على حساب مدن وقرى الضفة الغربية.

ويكشف جمال حمدان أبعاد المخطط الجغرافى اليهودي لإنشاء تل أبيب منذ أن أسستها الأقلية اليهودية عام ١٩٠٩ قرب يافا، ولكن خارج حدودها الإدارية حتى لا تخضع تل أبيب لسلطة البلدية العربية وتدفقت عليها الهجرة حتى كانت قبل حرب فلسطين المدينة اليهودية الصرف الوحيدة فى فلسطين.

واختيار الموقع الجغرافى لتل أبيب عند يافا (التى كانت أهم موانئ فلسطين) اختيار جغرافى فى المقام الأول، فيافا ـ كما يقول جمال حمدان تقوم على تل صغير، على الساحل عند بروز يصلح فقط لمدينة محصنة وميناء صغير، وكانت ميزة يافا، كما يقول حمدان ـ هى الموقع الجغرافى، فهى تتوسط ساحل فلسطين تماما، وبالذات سهل صاروبة (حقل الموالح الأساسى فى حياة واقتصاد فلسطين)، ثم هى تقع إزاء القدس (العاصمة الداخلية)، ولهذا كانت تقليديا ميناء القدس عن طريق وصلة اللد والرملة، وكان هذا أساس نمو يافا فى مطلع القرن، وظلت الأقلية اليهودية تستقطب المهاجرين اليهود حتى جاء وقت كانت فيه كل يافا عربية، وتل أبيب يهودية، ولم تلبث منذ حوالى ١٩٣٠ أن صارت تل أبيب أكبر من يافا الأم، ثـم تـركـزت عـلـيـهـا الـهـجـرة أكثر فأكثر وتكدست فـيـهـا الأجـهـزة الصهيونية كالهستدروت واتخذت عاصمة لإسرائيل عند قيامها.

وبخبرة المفكر الجغرافى الكبير يؤكد حمدان خطورة الاختيار الجغرافى لتل أبيب فيقول: إن مزاياها التى منحها هذا النمو هى مزايا يافا والتى ورثتها عنها والتى تعد النواة الأولى للمجتمع المدنى الضخم الذي آلت إليه تل أبيب، فقد أخذت تل أبيب ـ كما يـقـول حـمـدان ـ تـنـمـو بـتـدفـق الـهـجـرة، حتى ابتلعت كثيرا من المستعمرات والمدن المحيطة، وكونت مجمعا مدنيا كان أكبر مجمع مدنى فى فلسطين المحتلة، بل وفى إقليم الشام كله، فلقد بلغت تل أبيب يافا عام ١٩٥٨ نحو ٣٨٠ ألفا ترتفع إلى ٦١٧ ألفا، إذا أضيفت الضواحى المجاورة ولا عجب أن يتركز فى هذا المجمع – آنذاك ـ ٣٠٪ من سكان إسرائيل.

ويواصل جمال حمدان شرحه للمخطط الإسرائيلى المبكر لتهويد تل أبيب ـ يافا فى إطار أشمل، فيقول فى عام ١٩٦٤ ما معناه أن إسرائيل، وإن كانت قد رجحت لغة تل أبيب ـ يافا فى الثلاثينيات، ثم حيفا فى الأربعينيات، إلا أن المستهدف كان تركيز مليون يهودي فى المدن الثلاث الكبرى تل أبيب – حيفا ـ القدس ـ (الغربية) آنذاك.

وكل قارئ لأبعاد هذا المخطط الجغرافى الإسرائيلى المبكر يدرك تماما أن إسرائيل تمارس السيناريو نفسه، بالنسبة للقدس الكبرى الآن، ولم يكن إسهام الجغرافى الإسرائيلى (جان دي جونج) ـ التى سبقت الإشارة إليه فى مخطط توسيع بلدية القدس حاليا ـ إلا استكمالا لدور الجغرافيين اليهود منذ مطلع القرن فى نشأة وتهويد تل أبيب – يافا، تطلعا إلى العاصمة المستهدفة (القدس العربية).

إن جمال حمدان ـ منذ وقت مبكر بحسه القومى الفذ، وبتوظيف كل مـلـكـات فـكـره الـجـغـرافـى ـ كشـف أبعاد هـذا المخطط الجغرافى الإسرائيلى مؤكدا أن الاستعمار الصهيونى ليس استعمارا سكنيا بالمعنى المعروف، ولكنه استعمار دينى عنصري سكنى، ليس احتلالا، ولكنه إحلال.. وهو أخطر استعمار عرفه العالم العربى من كل ناحية بما فيها المدن الفلسطينية، فلقد شوه تماما صورة هذه المدن بـإيـجـاد مـدن دخـيـلـة جـديـدة تـطـورت إما من قرى قائمة ومستعمرات، وإما من لا شئ، وأصبحت مراكز استيطانية، مؤكدا أن هذا العبث الإسرائيلى فى المدن الفلسطينية بصفة عامة ليس سوى نبت غير طبيعى شاذ.

ولا ينسى جمال حمدان فى كتابه الصادر عام ١٩٦٤ أن يستشرف حتمية التاريخ قائلا: إنه من الواضح أن العرب مثلما قاموا بتصفية مدن الاستعمار الشكانى فى المغرب، فإن تصفية مدن الاستعمار الصهيونى هى الآن التحدي الأكبر للتحرير العربى.

ولعل ما كتبه جمال حمدان منذ وقت مبكر، أي قبل احتلال القدس ١٩٦٧، يـجـعـلـنـا نـؤكد رسـالـة الـعـتـاب إلى الجغرافيين المصريين والعرب، وإن كانت هذه الرسالة لا تقلل أبدا من عراقة وأصالة المدرسة الجغرافية المصرية والعربية.. فهى مدرسة غنية بفكرها ورجالها.. ومن الواجب عدم الاكتفاء بتوجيه رسالة العتاب دون المشاركة فى توضيح كيفية مشاركة الجغرافيين، وغير الجغرافيين فى التصدي للمخطط الإسرائيلى الحالى.

هذا المخطط الذي يستهدف إقامة القدس العظمى (المتروبوليتان)، والـتـى وصـفـهـا شـيـمـون بيريز من قبل بـأنـهـا لـيست اصـطـلاحـا سياسيا جغرافيا، ولقد سبق للباحثين الجغرافيين الإشارة منذ

أعوام طويلة إلى الصلة الوثيقة بين توسيع حدود بلدية القدس، وهدف إقامة القدس العظمى بما يعنى أن القدس العظمى هنا تمثل حالة إجماع إسرائيلى لا تتوافر لأية قضية أخرى، حيث تستكمل الحكومة الحالية ما بدأته الحكومة السابقة، وإن اختلفت الأساليب بينهما، بين البطء أو الإسراع، وبين المراوغة أو الاستفزاز، وبين المساومة أو الخداع، وبين التوسع المحدود أو التكالب والاحتواء المباشر.

المسألة الجغرافية إذن من المسائل الهامة فى التعرف على ما يجري داخل القدس، وما حولها، وفى مناقشة واقعها الحالى ومستقبلها، وهذا ما يعزز دعوتنا للجغرافيين العرب للتصدي لمثل هذا المخطط الجغرافى الذي يستهدف فى الأساس تهويد القدس العظمى وتمزيق الوحدة الجغرافية للضفة الغربية، ومن مؤشرات هذا المخطط:

ـ إقامة بلدية إسرائيلية موسعة تلتهم المزيد من أراضى الضفة الغربية، وبما يطوق القدس الشرقية من الجهات الأربع بالطرق الطويلة والعرضية لعزل الأحياء العربية فيها عن الأحياء العربية فى القدس الغربية عن تلك الواقعة خارجها، وذلك بهدف إيجاد واقع جغرافى جديد تكون فيه الأحياء العربية بين فكى كماشة لمحاصرتها وخنقها لدفع أهلها على الرحيل أو العيش فى أحياء منعزلة.

ـ شطر الضفة الغربية إلى قسمين رئيسيين، تفصل بينهما منطقة القدس العظمى المهودة، وذلك بإحداث تواصل إقليمى وجغرافى بين المستوطنات الواقعة فى الضفة خارج حدود البلدية بواسطة شبكة واسعة من الطرق العرضية والطولية لتقطيع أوصال الضفة وإحكام السيطرة عليها، وتمتد هذه المستوطنات لتصل إلى البحر الميت شرقا، وحدود أريحا غربا، ومنطقة رام الله شمالا، والخليل جنوبا.

ـ يواكب هذا تغيير التركيبة الديموغرافية للقدس العظمى وتحويلها إلى مدينة أغلبيتها الساحقة من اليهود تتسع لمليون يهودي مع مطلع القرن الجديد.

وتشكل تلك الممارسات الإسرائيلية شكلا من أشكال التطهير العرقى الذي يتعرض له الشعب الفلسطينى مسلمين ومسيحيين فى المدينة المقدسة، بهدف تهويدها وإلغاء هويتها العربية.

ولا شك أن العبث الإسرائيلى بمثل تلك الثوابت الجغرافية الفلسطينية يلقى بالمسئوليات الجسام على المدرسة الجغرافية العربية بمفكريها وأساتذتها وخبرائها وتخصصاتها المختلفة.

والمبادرة تتطلب من هؤلاء المفكرين والأساتذة والخبراء والباحثين سرعة الاتصال مع الجهات الفلسطينية المعنية برصد التغييرات الجغرافية التى تجري على أرض القدس، وأخص من هذه الجهات، جمعية الدراسات العربية بالقدس، وكذلك المركز الجغرافى الفلسطينى بها.

وجمعية الدراسات العربية بالقدس هى إحدى جمعيات بيت الشرق بالمدينة المقدسة، ومن دوائرها دائرة الخرائط التى تتابع عن كثب التطورات داخل المدينة المقدسة من واقع أرشيف خاص يحتوي على كل معلومة جغرافية تتعلق بكل عمليات التهويد للمدينة، ومنها أرشيف مفصل للخرائط وخطط البناء الخاصة بالقدس منذ عهد الانتداب والولاية الأردنية عليها، ومنذ الضم الإسرائيلى للمدينة، وحتى يومنا هذا.

أما المركز الجغرافى الفلسطينى بالقدس، فيعنى بتوثيق عملية السيطرة الإسرائيلية على الأراضى الفلسطينية، ورسم خرائط مستقبلية لطرحها على مائدة المفاوضات. وخليل التفكجى، هو الخبير الفلسطينى المقدسى الذي يشغل منصب مدير دائرة الخرائط بجمعية الدراسات العربية، وفى الوقت نفسه مدير المركز الجغرافى الفلسطينى، ويعكف على إعداد مشروع كبير يتعلق بالقدس بتمويل من حكومة كندا، ويجسد المشروع بواسطة الخرائط والرسومات كل الممارسات الإسرائيلية على أرض القدس بدءا بإقامة الأحياء اليهودية وشق الطرق، هكذا يرصد ويوثق التفكجى كل عمليات العبث الإسرائيلى بالثوابت الجغرافية للمدينة المقدسة وما أحوجه إلى التعاون مع الجغرافيين فى كل دولة عربية وعلى مختلف الكليات الجامعية الحية ليشرح بالكلمة والصورة والخريطة ما جرى لمدينة القدس تحت الاحتلال الإسرائيلى.

ويمثل هذا الأطلس الجغرافى للمدينة المقدسة وثيقة اتهام لإسرائيل أمام مختلف المحافل الدولية، ويعد فى الوقت نفسه وثيقة سياسية وقانونية فى أيدي المفاوض الفلسطينى إذا قدِّر لمفاوضات الوضع النهائى أن تنعقد، أو إذا قدِّر لقضية القدس أن تعرض للتحكيم الدولى.

ولعل مثل هذا الأطلس يوضح بمختلف اللغات أية قدس عظمى تريد إسرائيل تهويدها واحتواءها كأمر واقع، ويوضح أيضا أية قدس صغرى مهمشة تريد إسرائيل أن تضحك بها علينا.

ولا شك أن إعداد أطلس للقدس يكشف أن مخطط إسرائيل سوف يعد وثيقة اتهام لها أمام مختلف المحافل الدولية، ويعد فى الوقت نفسه وثيقة فى أيدي المفاوض الفلسطينى، حتى لا يفاجأ بخريطة إسرائيل عن القدس العظمى على مائدة المفاوضات، وهذا ما أورده الكاتب الفلسطينى المعروف الدكتور ادوارد سعيد فى مقال منشور بجريدة الحياة (١٧ أغسطس ١٩٩٥) عندما أشار إلى ما كتبه الجغرافى الإسرائيلى جان دي جونج عن القدس قائلا: «الذين يتوقعون أن تكون خريطة القدس المطروحة على مائدة مفاوضات الوضع النهائى مطابقة لوضعها عام ١٩٦٧ سيفاجأون تماما، فالأرجح أنها ستمتد من بيت شمس ومدعين فى الغرب (أي نصف الطريق إلى تل أبيب تقريبا) إلى كيلو مترات قليلة من حلحول والخليل فى الجنوب إلى ما بعد رام الله فى الشمال إلى بضعة كيلو مترات عن أريحا فى الشرق، وهذه المساحة الهائلة التى تعتبرها إسرائيل عادة القدس الكبرى تبلغ ١٢٥٠ كيلو مترا مربعا ويقع ثلاثة أرباعها فى الضفة الغربية».

وحتى تكون الصورة واضحة أمام المفاوض الفلسطينى يقدم الكاتب الفلسطينى المعروف د. وليد الخالدي تعريفا لخمس أقداس:

القدس الأولى: هى البلدة القديمة داخل الأسوار فى الطرف الشرقى من حدود الهدنة عام ١٩٤٧، وهى التى تضم الحرم الشريف، بمسجديه الأقصى وقبة الصخرة، وكنيسة القيامة حائط المبكى.

القدس الثانية: هى الحدود البلدية القديمة، إلى جانب الأحياء الواقعة شمالها وجنوبها، وهذه كانت القدس العربية عند بداية حرب ١٩٦٧.

القدس الثالثة: وهى القدس الغربية ضمن الحدود البلدية الإسرائيلية غرب حدود الهدنة عام ١٩٦٧، والتى كانت عاصمة إسرائيل حتى ١٩٦٧.

القدس الرابعة: هى الحدود الموسعة شرق حدود الهدنة والتى تضم القدسين الأولى والثانية، وتبلغ مساحتها ما بين خمسة وستة أمثال القدس الثانية، وأراضيها ضمت قسرا من أراضى الضفة الغربية.

القدس الخامسة: هى حدود التخطيط الحضري حول القدس الرابعة، وتضم أراضى مساحتها خمسة أمثال مساحة القدس الرابعة، انتزعت من أصحابها، وحولت إلى مستعمرات وضواحى للقدس الإسرائيلية ومساحتها ١٥٪ من مساحة الضفة الغربية، وفى الوقت نفسه تضم أكبر تجمع بشري فلسطينى وأضخم تجمع مؤسساتى فلسطينى فى العالم، ثم إنها فى موقع متوسط من جبل نابلس فى شمالها وجبل الخليل فى جنوبها.

ونضيف إلى هذه الأقداس الخمسة قدسا سادسة حاولت إسرائيل استنساخها من العدم لتكون عاصمة ممسوخة للدولة الفلسطينية. فعندما احتلت إسرائيل القدس عام ١٩٦٧ كانت العزيرية وأبوديس وهما منطقتان مشهورتان ضمن مدينة القدس، فقامت إسرائيل بنزع هاتين المنطقتين من القدس، وقامت بإعلان توحيد المدينتين الغربية والشرقية كعاصمة واحدة، وفى الوقت نفسه أبقت إسرائيل هاتين المنطقتين خارج التقسيم الإسرائيلى، رغم كونهما أصلا جزءا لا يتجزأ من المدينة المقدسة، وما يجري الآن هو محاولة تكبير المنطقتين وربطهما برام الله وبالتالى تصير هذه المنطقة (العزيرية ـ أبوديس ـ رام الله) القدس الفلسطينية، ويتم إنشاء ممر بين هذه القدس (المصنعة أو المفبركة)، والأماكن المقدسة الدينية بإشراف مشترك (وليس دوليا) فلسطينى ـ إسرائيلى، لتأمين حرية العبادة للمسلمين والمسيحيين.

والتساؤل المطروح بعد التعريف بالأقداس الست: أية قدس سوف تدور المفاوضات حولها؟

والإجابة على مثل هذا التساؤل وأياً كان الخيار العربى والفلسطينى فى هذا الشأن.. نقول الإجابة مرهونة بإعداد مسبق لأطلس جغرافى كامل متكامل للقدس التى سوف تجري على أساسها المفاوضات.. وهى ـ كما هو متوقع ـ تعد أصعب مفاوضات سوف يشهدها القرن الحادي والعشرون ـ إن قدِّر لها أن تلتئم أو تنعقد.

مسئولية الجغرافيين العرب إذن، تسبق مسئولية صانع القرار العربى، وكذا مسئولية المفاوض العربى والفلسطينى بشأن القدس، ومن هنا تتبع مسئولية الجغرافيين فى توظيف كل ملكات فكرهم الجغرافى وخبراتهم وتخصصاتهم فى إعداد مثل هذا الأطلس الذي سوف يكون، فى الوقت نفسه كما سبقت الإشارة، أول وثيقة اتهام دامغة لممارسات إسرائيل فى المدينة المقدسة.

## المصادر والمراجع

**أولا ـ الكتب:**

١ ـ أحمد أبو سعد: أدب الرحلات – منشورات دار الشرق الجديد ـ بيروت ١٩٦١.

٢ ـ د. أحمد يوسف القرعى: وثيقة الدفاع عن القدس.. من يكتبها؟ ـأبوظبى ـ ٢٠٠٠.

٢ ـ د. أمين مسعود أبوبكر: ملكية الأراضى فى متصرفية القدس (١٨٥٨ ـ ١٩١٨) ـ عمان ١٩٩٦.

٣ ـ د. حامد زيان غانم: د. عطية أحمد القوصى (إشراف وتقديم): بحوث مؤتمر مصادر تاريخ القدس بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة (٢١ ـ ٢٣ مارس ١٩٩٨).

٤ ـ د. حسين فوزي: حديث السندباد القديم ـ القاهرة ١٩٤٣.

٥ ـ رائف يوسف نجم وآخرون: كنوز القدس ـ الناشر، المجمع الملكى لبحوث الحضارات الإسلامية ـ ١٩٨٣.

٦ ـ رحلة ابن بطوطة: الناشر، دار بيروت، دار النفائس ـ طبعة ١٩٩٧.

٧ ـ رحلة ابن جبير: الناشر، دار الكتاب اللبنانى.

٨ ـ زكى محمد حسن: الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ـ القاهرة ـ ١٩٤٥.

٩ ـ د. عبدالفتاح حسن أبو عليه: القدس ـ دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف ـ دار المريخ للنشر ـ الرياض ـ ٢٠٠٠.

١٠ ـ فؤاد إبراهيم عباس: موسوعة بيت المقدس ـ تسعة أجزاء حتى نهاية حرف الباء ـ القاهرة.

١١ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى: وثيقة القدس.

١٢ ـ ناصر خسرو علوي: سفر نامة ـ ترجمة يحيى الخشاب – القاهرة ١٩٩٣.

ـ كنوز القدس الناشر: المجمع الملكى لبحوث الحضارات الإسلامية ١٩٨٣.

١٣ ـ نقولا حداد: الرحالة العرب ـ القاهرة ـ ١٩٦٢.

**ثانيا ـ بحوث ودراسات:**

١ ـ د. أسامة محمد فهمى صديق: الجغرافيون والرحالة المسلمون فى مدينة بيت المقدس فى العصر الإسلامى ـ منشور فى كتاب القدس: التاريخ والمستقبل ـ مركز دراسات المستقبل ـ جامعة أسيوط ١٩٩٦.

٢ ـ د. سهير محمد إبراهيم نعينع: القدس فى كتابات الرحالة فيلكس فابرى ـ منشور فى كتاب بحوث مؤتمر مصادر تاريخ القدس ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٩٨.

٣ ـ د. عبدالله حامد الحيید: رحلات بعض السادة العلويين الحضارم إلى القدس مصدر من مصادر تاريخ القدس فى العصر الحديث ـ منشور فى كتاب بحوث مؤتمر مصادر تاريخ القدس، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٩٨.

٤ ـ د. عطية أحمد القوصى: القدس فى سفر نامة، ناصر خسرو، منشور فى كتاب بحوث مؤتمر مصادر تاريخ القدس، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٩٨.

٥ ـ د. محمد فؤاد خليل: عروبة القدس من خلال كتابات المبشرين الأمريكيين فى القرن التاسع عشر، منشور فى كتاب بحوث مؤتمر مصادر تاريخ القدس، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٩٨.


الحرس الوطني
بيت لحم 1949
المصور: سمعان سحّار
مجموعة وداد قعوار / المؤسسة العربية للصورة

